الفصل الثّاني

تطبيق التّكامل المنهجي في كتب التّفسير

المبحث الأول: نشأة علم التّفسير

مرّ علم التّفسير بعدد من التطوّرات على مرّ العهود، حيث قام الباحث بتقسيم تلك العهود إلى التّفسير في عهد النبوة والصّحابة، والتّفسير في عهد التّابعين، والتّفسير في عهد التدوين.

المطلب الأول: علم التّفسير على مرّ العهود

إنّ القرآن الذي نزل على سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم مكتوب بالعربيّة، ونزل على أمة عربيّة. وكانوا على الطبيعة والسليقة على الحالة، ممّا سهل عليهم فهم المعاني والأغراض الجليّة والخفيّة للآيات المكيّة من القرآن الكريم. على ذلك أكد د. محمّد حسين الذهبي: وكان طبيعياً –كذلك– أن يفهم الصحابة القرآن في جملته أي بالنسبة لظاهره وأحكامه، أما فهمه تفصيلاً، ومعرفة دقائق باطنه بحيث يغيب عنهم شاردة ولا واردة، فهذا غير ميسور لهم بمجرد معرفتهم للغة القرآن، بل لابد لهم من البحث والنظر والرجوع كما سبق أن قلنا إلى النّبي صلّى الله عليه وسلّم، فيما يشكل عليهم فهمه، فكان مرجع الصّحابة في ذلك الوقت، النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وقد فسّر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم الآيات القرآنيّة، وذلك ثابت في الآثار الواردة في الصّحاح، وكتب التّفاسير وأصولها، مما روي عن تفسيره صلّى الله عليه وسلّم لآية في سورة الرحمن: ﴿هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾[2] فقال الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: ((هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة))[3].

وفي موضع آخر، صرّح الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بتفسير قوله تعالى، لآية في سورة النساء

---

[1] الذهبي، د. محمّد حسين (٢٠٠٠م – ١٤٢١هـ) التّفسير والمفسرون. دار اليوسف بيروت لبنان. مجلد ١ صفحة ٣٣

[2] سورة الرحمن، ٦٠.

[3] السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن. ج١ ص١٩٧.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[1].

فقد كان الرّسول صلّى الله عليه وسلّم يوضح المعنى ويقربه.... فهذا أبو بكر يقول: يا رسول الله كيف الصّلاح بعد هذه الآية؟ فكل سوء عملنا جزينا به؟ فيقول الرّسول: غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تمرض؟ ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك الأدواء؟ قال: بلى، قال: فهو ما تجزون به[2].

وإن التّفاسير التي تنسب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كثيرة، وهي مذكورة في كتب الصحاح، وكتب التّفاسير، وحسبنا أن يذكر الباحث منها روايتين فقط، والحاصل، أن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم يعتبر أول المفسرين لكتاب الله عزّ وجلّ، وخلف من بعده الأصحاب مستعينين بمعرفة اللّغة العربيّة والأحاديث النّبويّة التي كانوا سمعوها مباشرة وغير مباشرة من المصطفى صلّى الله عليه وسلّم.

وقد ذكر الإمام السّيوطي في كتابه أنّه قد اشتهر بعض الصّحابة بالتّفسير وكان منهم الخلفاء الأربعة[4]، وابن مسعود[5]، وابن عباس[6]، وأبي بن كعب[7].

وهذا لا يتنافى بأن من الصحابة من كانوا يفسرون القرآن على قدر يسير، فعددهم محدود كأبي هريرة وأنس بن مالك، وعائشة كما ذكر الإمام القرطبي[8] وذلك بسبب احتياطهم في تفسير كلام الرّحمن. فظهرت تفسيرات تفسير الصّحابة مما وقفنا عليه من تفسيرهم القليل والجدير، بأن الصّحابة لم يفسّروا الآيات القرآنية إلا إذا كانت غامضة عليهم في فهمها، وقليل

---

[1] النساء، ١٢٣.

[2] أحمد بن حنبل (١٣٦٨هـ) مسند الإمام أحمد. المعارف. ج١، ص١٨٦.

[3] السّيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن (بدون التّاريخ) الإتقان في علوم القرءان. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان. ج ٢، ص٢٠.

[4] هم أبو بكر وعمر الخطاب، وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب. الذهبي، محمّد حسين بجلد ١ ص٧٠.

[5] هو عبد الله بن مسعود بن غافل، يصل نسبته إلى مضر، ويُكنى بأبي عبد الرحمن الهزلي. المرجع السّابق. ج١ ص٨٦.

[6] عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي. المرجع السّابق. ج١، ص٧٠.

[7] أبو منذر، أبو الطفيل، أبي بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي. المرجع السّابق. ج١، ص٩٨.

[8] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. ج١ المقدمة انظر: باب ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

من تفاسيرهم تدلّ على اختلافهم فيه، واقتصارهم على المعاني اللّغويّة فقط، وندرة استنباطهم من الآية القرآنيّة بطريقة علمية، واكتفائهم بالأحاديث النّبويّة[1].

وأخذ الصّحابة التّفاسير من بعض المصادر التي تعتبر كالأداوات لهم، فالأولى القرآن الكريم، ثم أقوال الرّسول ثم الاجتهاد الذي حصل لهم من قوّة الاستنباط لديهم، وذلك من معرفة أوضاع اللّغة وأسرارها، ومعرفة عادات العرب، ومعرفة أحوال اليهود والنصارى وقت نزول الآيات، ثم قوة الفهم والإدراك، والمصادر الإضافية في تلك الحالة أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

المطلب الثّاني: التّفسير في عهد التّابعين

قد تكفّل الله تعالى كتابه بحفظه في الصّدور والسّطور، فدارت العصور وتتابع العلماء على آثار القدماء من الصّحابة في تفسير كلام الله عزّ وجلّ، فلما اتسعت الفتوحات الإسلامية، انتقل كثير من الصّحابة إلى الأمصار المفتوحة، ونقلوا معهم علوماً كثيرةً. فبعد مرور العهد النبوي وعهد الصّحابة وحدوث الفتوحات، ودخول العجم في دين الإسلام، احتاج النّاس إلى تكميل ما نقص من تفسير القرآن الكريم، فقام التابعون بكتابته معتمدين على ما عرفوه من اللّغة العربيّة والبلاغة ونحو ذلك من الشّروط المطلوبة للمفسّر معرفتها. وقد تلقى التابعون من الصّحابة حتى انتشرت مدارس متنوعة في التّفسير، واشتهرت ثلاثة مدارس وهي مدرسة ابن عباس بمكة، ومدرسة ابن مسعود بالعراق ومدرسة أبي بن كعب بالمدينة[2].

وقد اشتهر بعض التّابعين الذين تلقّوا التّفاسير من مدرسة أهل مكة ومنهم سعيد بن جبير[3]، ومجاهد بن جبر[4] وعكرمة[5] وغيرهم. وأما مدرسة أهل المدينة فأشهر رجالها أبو

---

[1] الفرت، يوسف عبد الرحمن (٢٠٠٨م – ١٤٢٨هـ) القرطبي المفسّر سيرة ومنهجا. دار الفكر العربي، القاهرة. ٣٢.

[2] الذهبي، محمّد حسين ج١، ص١٠٩.

[3] هو أبو محمّد أو أبو عبد الله سعي بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي. المرجع السّابق. ج١، ص١١١.

[4] هو مجاهد بن جبر المكي المقرئ المفسر أبو الحجاج المخزومي. المرجع السّابق ج١، ص١١٣.

[5] هو أبي عبد الله عكرمة البربري المدني مولى ابن عباس. المرجع السّابق. ج١، ص١١٦.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

العالية[1]، ومحمّد بن كعب القرظي[2]، وزيد بن أسلم[3] وغيرهم من التّابعين.وأما مدرسة أهل العراق التي أسسها عبد الله بن مسعود، قد اشتهر رجالها علقمة بن قيس[4]، مسروق[5] وغير ذلك من التّابعين. ومن هذه المدارس الثلاث تتابعت وتوالدت المناهج الذاتية التي حملها وُرّاثها من المفسّرين جيلاً بعد جيلٍ، ولهذا نجد كثيرًا عبارة: "قال مجاهد، قال عكرمة" فيُفهم منه بأن هذا الرأي جاء من مدرسة أهل مكة، أو إذا استند إلى ابن مسعود فيُفهم منه، هذا من جملة رأي مدرسة أهل العراق وغير ذلك.

واختلف العلماء في قبول أقوال التّابعين، ورفض بعضهم أقوال بعض ومنها ما قاله ابن تيمية: "أقوال التّابعين لا تكون حجةً، فكيف تكون حجةً في التّفسير؟ يعني أنها لا تكون حجةً على غيرهم ممن خالفهم، وهذا هو الصحيح، أما إذا أجمعوا على شيءٍ فلا يرتاب في كونه حجةً، فإذا اختلفوا فلا يكون قول بعضهم، حجةً على بعضٍ ولا على من بعدهم، ويرجع ذلك إلى القرائن أو السنة، أو عموم لغة العرب أو أقوال الصّحابة في ذلك"[6]

ولكن ذهب أكثر المفسّرين إلى قبول تفسير التّابعين لأنهم تلقوا القرآن الكريم، وتفسيره مشافهةً مع أصحاب رسول الله[7]. وقد ذكر محمّد حسين الذهبي مصادر التّابعين في التّفسير بقوله: "وقد اعتمد هؤلاء المفسّرون في فهمهم لكتاب الله تعالى على ما جاء في الكتاب نفسه، وعلى ما رَووُهُ عن الصّحابة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وعلى ما رووه عن الصّحابة من تفسيرهم أنفسهم، وعلى ما أخذوه عن أهل الكتاب مما جاء في كتبهم، وعلى ما يفتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنّظر في كتاب الله تعالى"[7]

---

[1] هو رفيع بن مهران الرياحي مولاهم. المرجع السّابق، ج١، ص١٢٤.

[2] هو أبو حمزة أو أبو عبد الله محمّد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي المدني، المرجع السّابق، ج١، ص١١٠.

[3] هو أبو أسامة أو أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي المدني الفقيه المفسّر، المرجع السّابق، ج١، ص١٢٦.

[4] هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الكوفي، المرجع السّابق، ج١، ص١٢٩.

[5] هو أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمداني الكوفي العابد، المرجع السّابق، ج١، ص١٣٠.

[6] السّيوطي ج ٢، ص٣٣٢.

[7] الذهبي، محمّد حسين. ج١، ص١٠٩.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وبالجملة، فإنّ تفسير التّابعين له قيمةٌ عاليةٌ ومكانةٌ، عند المفسّرين، وذلك بسبب تعلّمهم من الصّحابة الذين تلقوا التّفسير مباشرةً عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مع الأسباب الأخرى كما بيّنها د.محمّد حسين الذهبي آنفاً.

المطلب الثالث: التّفسير في عهد التّدوين:

انطلاقاً من عهد الصّحابة، انتقل علم التّفسير انتقالاً موضوعياً إلى المرحلة التي تليها، وهي مرحلة التدوين. وهذه المرحلة مبنيةٌ على ما قبلها. وقد قال صاحب تعريف الدارسين: "وتم في مرحلة التّأصيل ترسيخ المنهج الأصيل لعلم التّفسير، المنهج الذي يقوم على أسسٍ وقواعدَ متينةٍ، وهذه القواعد والأسس (قعّدت) لعلم التّفسير القاعدةَ الصلبةَ، التي أعقبت تأسيسَ ونشأة هذا العلم."[1]

وقد رجح الخالدي أن بداية تدوين التّفسير كانت في نهاية القرن الثّالث وذلك بيد الإمام الطّبري. ولكن هناك قولٌ يخالف الخالدي وهو قول الإمام السّيوطي، فقال: "ثم بعد هذه الطبقة أُلّفت تفاسير تجمع أقوال الصّحابة، والتّابعين، كتفسير سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج [إلخ]، وبعدهم ابن جرير الطّبري وكتابه أجلّ التّفاسير وأعظمها.."[2]

وبشكلٍ عامٍ، فإنّ تاريخ التّفسير بدأ بعد عصر التّابعين، وذلك في القرن الثّالث للهجرة، والإمام الطّبري ليس أول من دوّن التّفسير وقد سبقه مفسّرون أجلاء غير أن تفاسيرهم لم تشتهر، ولم تُباع في المكتبات الإسلامية، وقد بيّن ذلك عموماً الشّيخ العك في كتابه: "وفي هذا العهد – أواخر عهد بني أمية وأول عهد العباسيين – كانت الخطوات الأولى للتصنيف والتّدوين، حيث دوّنت السّنة النّبويّة، وهي تتضمن بين جنباتها تفسير القرآن الكريم ومناهج تفسيره..."[3]

وفي هذا العهد، لم تقف العلوم عند التّفسير فحسب، بل تجاوزتها إلى العلوم الأخرى كالقراءات والأحاديث وغير ذلك، وأكّد ذلك العك في أصوله بقوله: "... ثم سار كلٌ ما اتجه

---

[1] الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح (٢٠٠٢م – ١٤٢٣هـ) تعريف الدّارسين بمناهج المفسّرين. دار البشير، جدة. ص٣٩.

[2] السّيوطي، ج ٢، ص٤١٨.

[3] العك، خالد عبد الرحمن (١٩٩٤م – ١٤١٤هـ) أصول التّفسير وقواعده. دار النفائس، بيروت لبنان، ص٣٤.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

العلماء إلى فصل العلوم بعضها عن بعض، فأصبح للحديث علماؤه ومصنفاته، وللتّفسير علماؤه ومصنفاته، وللقراءات علماؤها ومصنفاتها..."[1]

فظهر واحد بعد واحد ممّن تحدّث بالأحاديث والآثار، وظهر من استوعب الآيات القرآنيّة من جميع النواحي العلمية، فاستنبط منها اللّغة والبلاغة، والأصول ولاسيما القراءات المختلفة من حيث تنوّع وجوهها التي تشير إلى تنوّع معانيها. فظهر الإمام الجليل الطّبري بالتّفسير مستدلاً بالقراءات السّبع، والقرطبي بالقراءات الصحيحة وغير صحيحة، وابن عادل الحنبلي بالقراءات العشر والشّاذة مع نقد لطيف ورائع حتى يطمئن قلب من يقرأ تفسيره، والزمخشري وابن عطية مع نقدهما الشّديد في فضح القراءات التي تخالف القواعد اللّغويّة، وغير ذلك من العلماء. وقد استمرّ التجديد في التّفاسير من عصر إلى الذي يليه، من حيث مناهجهم، وأصبح لكلّ مفسّر منهج ذاتي نهج عليه، والآن ما وصل إلينا من التّفاسير من العلماء الذين تحدثوا عن القراءات في تفاسيرهم اكتفوا بالقدماء من المفسرين، ولم يستطيعوا أنْ يأتوا بالجديد.

وسيتكلم الباحث بالتفصيل عن منهج الإمام الطّبري مع مناهجه في التّفسير واتجاهه في القراءات. وأن نأخذ بقول الخالدي الذي نعته بأنه التّفسير الذي اشتمل على أكمل العلوم، فالإمام الطّبري هو أوّل من صنّف تفسيراً بالرّأي متكاملاً بالأقوال مع توجيهها وترجيحها، وزاد فيها الإعراب، واستنباط الأحكام، ومباحث القراءات السّبع بالتفصيل. وأما التّفاسير السّابقة قبل الطّبري فقد ارتكزت على التّفسير بالمأثور ولم يتمّ تصنيفها ثلاثين جزءًا كاملاً بين الدفتين، ثم تتابعت التّفاسير بعد ذلك حتى الآن، إلا أنّ الطّبري يعتبر مؤسّساً للتّفسير بالرأي.

---

[1] المرجع السّابق، ص٣٤.

[2] وقد ذكر الباحث عن مناهج بعض المفسرين على تفاسيرهم، لا سيما منهجهم في تفسير الآية القرآنيّة المتعلقة بالوجه من وجوه القراءات الصحيحة والشواذ في الفصل الثّاني في هذه الرسالة.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المبحث الثّاني: نشأة علم القراءات

إنّ القرآن الكريم نزل على سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم وبدأ بسورة العلق (١-٥)، وفيها إشارة إلى أهميّة القراءة كما قال تبارك وتعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[١].

فظهر في هذه الآية الحثّ على القراءة دراسةً وتدريساً، قراءة واقراء للناس، وقد صرحت الأحاديث ما يشير إلى وجوه القراءات الكثيرة، وهذه الحالة تيسّر على الأمة وتسهل عليها القراءات، وقد ثبت في الحديث طلب النّبي صلّى الله عليه وسلّم من الله عز وجل تكليف وجه فقط دون باقيها على الأمة حتى لا يشقّ عليهم ذلك، فأنزل الله تبارك وتعالى القرآن على سبعة أحرف تسهيلاً لهم، وذلك كما روي عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه: "إن النّبي صلّى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار، قال: فأتاه جبريل عليه السّلام، فقال: إن الله يأمرك أن تُقْرِيء أمتك القرآن على حرف. فقال: أسأل الله تعالى معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تُقْرِيء أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله تعالى معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثّالثة، فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله تعالى معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة، فقال: إن الله تعالى يأمرك أنْ تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا"[٢].

ولا يرغب الباحث في إطالة الاختلاف في معنى الأحرف السّبعة المختلف فيها بين العلماء، إلا أنها من جملة اللهجات الموجودة في القرآن حسب، والمعتمد في هذه الاختلافات أنّ الأحرف السّبع لا تدلّ على القراءات السّبع، وقد أشرنا من سياق صاحب أصول التّفسير وقواعده: "ومن النّاس من يظنّ أنّ المراد بالسّبع الحديث ما يُطابق القراءات السّبع التي

---

[١] سورة العلق، ١-٥.

[٢] هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب بيان إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف، حديث رقم (٢٨٠) واللفظ له، وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم (١٤٧٧-١٤٧٨) والنسائي في كتاب الصلاة باب جامع ما جاء في القرآن، ج ٢، ص١٥٢-١٥٤.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

اشتهرت بين أهل فنّ القراءات، وذلك غلط ولم يقله أحد من أهل العلم وأجمع العلماء على خلافه[1].

المطلب الأول: نماذج القراءات في عهد النّبوة

برزت في التّاريخ مصادر القراءات وهي مشافهة الصّحابة من الرّسول في القراءة، وذلك ثابت بالحديث ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: "سمت هشام بين حكيم بن حزام[2] يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة، لم يقرأنيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فكدت أساوره في الصلاة، فتربصت حتى سلّم، فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقلت: كذبت. فإن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: اقرأ يا هشام. فقرأ عليه القراءة التي كنت سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: هكذا أنزلت، ثم قال النّبي صلّى الله عليه وسلّم: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: هكذا أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه"[3]

وهذا الدّليل من جملة الأدلة المعدودة في كتب الأحاديث التي تدلّ على ثبوت الأوجه في القراءات، ووجوب التلقي مشافهةً ومقابلة الشّيوخ تحقيقاً لصحة الأداء للقراءات، ثم استمرّ هذا الأمر جيلاً بعد جيلٍ حتى وصل إلينا الآن بجهود عظيمة من القراء، وسير القراءات مرّت بعدد من المراحل من الصّحابة، وابن مجاهد، والشّاطبي وأخيراً إلى الإمام ابن الجزري. ومن بينهم

---

[1] أسلم يوم الفتح، ومات قبل أبيه، وكان من فضلاء الصّحابة، قال ابن شهاب: كان هشام بن حكيم في نفر من أهل الشّام يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ليس لأحد عليهم إمارة. الإصابة، ج٣، ص٦٠٣.

[2] أسلم يوم الفتح، ومات قبل أبيه، وكان من فضلاء الصّحابة، قال ابن شهاب: كان هشام بن حكيم في نفر من أهل الشّام يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ليس لأحد عليهم إمارة. الإصابة، ج٣، ص٦٠٣.

[3] حديث صحيح، أخرجه البخاري في مواضع منها في كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم (٤٩٩٢).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

أئمة التّفاسير الذين اشتهروا بتفاسيرهم كالطّبري والقرطبي والسّيوطي وغيرهم من المتقدّمين المهتمّين بالقراءات وأثرها للتّفسير، والأثر من ضمن منهج التّكامل الذي ما نحن الآن بصدد دراسته.

المطلب الثّاني: علاقة القراءات في التّفسير ونماذجها:

بشكل عام انقسمت القراءات إلى قِسْمَيْن من حيث التّأثير في التّفسير وهي القراءات التي ليست لها علاقة بالتّفسير، والقراءات التي لها تأثير في التّفسير، كما أفادنا كتاب أصول التّفسير وقواعده[1].

القسم الأول: اختلاف القراءة في وجوه النّطق بالحروف والحركات كمقادير المد، والإمالات، والتّخفيف، والتسهيل، والتحقيق، والجهر، والهمس، والغنة، والإخفاء، فهذه الاختلافات لا تأثير لها في اختلاف معاني الآيات، وإن كان لها أثر من جهات أخرى غير التّفسير مثل التّخفيف على الأمة في النّطق وبيان سَعَةِ اللّغة[2]

والقسم الثّاني: اختلاف القراءة في حروف الكلمات، وهو على نوعين:

النوع الأول: اختلاف اللفظ والمعنى جميعا مع جواز اجتماعهما في شيء واحد لعدم تضاد اجتماعهما فيه.

النوع الثّاني: اختلاف اللفظ والمعنى، مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه، بل يستحقان من وجه آخر لا يقتضي تضاد[3].

فهذه الحالة هي التي تؤثر على الأداء القرآني نوعها، لأن تبدل القراءات في آية تؤثر على غيرها من المعاني، فاختلاف الألفاظ يوسّع التفسير للآية والكلمة الواحدة، ويهتمّ الباحث بهذه الحالة، فمعرفة القراءات في القسم الثّاني مع نوعيهما مهارة موضوع البحث لهذه الدّراسة.

وبعد قيام الباحث بالتّأمل الدّقيق وبحث العلاقات بين القراءات والتفسير، برزت النتيجة بأن للقراءات أثراً على التّفسير إمّا بمجرّد المعاني فقط من غير تكليف شيء وإمّا

---

[1] العك، أصول التّفسير وقواعده، ص٤٢٨-٤٢٩.

[2] محمّد بن عمر بن سالم بزمول، ج١، ص٣٧٩.

[3] الأحرف السّبعة للداني: ص٤٧.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

بتوسيع المعاني مع التّكليف الشّرعي، أمّا الأول (أن للقراءات أثراً على التّفسير لمجرّد المعاني فقط ولا تكليف فيها) وهذه الحالة وقعت في كثير من الآيات القرآنيّة، فمنها قراءة: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ من سورة الفاتحة، بحذف الألف بين الميم واللام، فقرأ الإمام الكسائي وعاصم بثبوت الألف، وباقي القراء على حذفها، فهذه القراءات توسّع المعاني فقط ولا أثر لها في الأحكام الشّرعية. أما الثّاني (يوسّع المعاني مع التّكليف الشّرعي) قد تكلم عنه كثير من القراء والمفسرين، فمثاله من سورة البقرة، الآية: ٢٢٢ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1]

وهذه الآية في حدّ ذاتها مهمة في التّفسير والأحكام الشّرعية من حيث الطهور وجواز العلاقة الجنسية بين الزّوجين وعدمها وهي الطّهارة. وقد طال الكلام بين الفقهاء فيها انطلاقاً من هذه القراءات. وأكتفي الباحث بذكر مثالين فقط عن أثر القراءات على التّفسير.

المطلب الثّالث: تدوين القراءات[2]

إن للقراءات سيرةً ذاتيةً، وهي مرّت بمراحل، وقد لخّص العلماء منها ثلاث مراحل، وذلك لشهرة أئمتها ومنهم ابن مجاهد والشّاطبي والجزري.

المرحلة الأولى: عصر ابن مجاهد:

هو أحمد بن موسى بن مجاهد، المتوفى عام (٣٢٤هـ) وذلك في كتابه المشهور (السّبعة من القراءات)، وقد ولد ابن مجاهد بسوق القطن في بغداد عام (٢٤٥هـ).

وظهر نبوغه مبكراً حيث حفظ القرآن الكريم، وتكثر القراءة على الشّيخ حتى عدّ له ابن الجزري نحوًا من مئة شيخ قرأ عليهم ختمة كاملة للقرآن الكريم، وأجازوه بإقرائها للنّاس،

---

[1] سورة البقرة، ٢٢٢.

[2] الحبش، د.محمّد، **القراءات المتواترة وأثرها في الرسم العثماني والأحكام الشّرعية**، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٩م، ص٧١.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وقرأ على بعض شيوخه عشرين ختمةً، واجتمع عليه الطّلاب من الأقطار، وصار يقرئ بالقراءات التي يثبت له تواترها.

وكان ابن مجاهد في الحقيقة إماماً مقصوداً في القراءة، ويمكن القول إنّه مؤسس أول جامعة للقرآن الكريم وقراءاته في بغداد، وقد فاق في عصره سائر نظرائه من أهل صناعته مع اتّساع علمه، وبراعة فهمه، وصدق لهجته، وظهور نسكه[1].

المرحلة الثّانية: عصر الإمام الشّاطبي:

الإمام الشّاطبي هو القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعيني (٥٣٨هـ - ٥٩٠هـ) إمام القراء وكان ضريراً، ولد بالشّاطبة (في الأندلس) وتوفّي بمصر، وهو صاحب حرز الأماني وهي قصيدة في القراءات تعرف بالشّاطبية، وكان عالماً بالحديث والتّفسير والفقه[2].

وقد كان أهم الآثار التي تركها الشّاطبي منظومته الكبيرة المسماة (حرز الأماني ووجه التهاني) وهي من المنظومات المتقدّمة تاريخياً في هذا الفن، وقد لاقت قبولاً واسعاً، وهي تتألف من ١١٧٣ بيتاً من البحر الطويل الذي يلتزم قافية لامية، اختار الشّاطبي أن يرمز لكل قارئ من القراء السّبعة بحرف من الهجائية، فيشير بذلك إلى اختيار كل قارئ، ومذهبه في الأصول والفرش[3].

المرحلة الثّالثة: عصر الإمام ابن الجزري:

وبعد عهد الإمام الشّاطبي يأتي عهد الإمام ابن الجزري، وكان الإمامان السّابقان الشّاطبي وابن مجاهد قد عرضا القراءات السّبع وينكر على كثير من القراء إعراضهم عن قراءة أبي جعفر[4] وتركه قراءات يعقوب بن إسحاق الحضرمي[5]، ولم ينكر الشّاطبي هذين الإمامين في الشّاطبية، غير أن الإمام ابن الجزري قد عدهما في متن طيبة النشر في القراءات العشر.

---

[1] معرفة القراء الكبار. ج١، ص٢١٧.

[2] الحبش، د.محمّد .القراءات المتواترة وأثرها في الرسم العثماني والأحكام الشّرعية، ص٧٤.

[3] المرجع السّابق، ٧٤.

[4] أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي، (١٣٠هـ) إمام المدينة النّبويّة، التابعي، قال المجاهد: لم يكن بالمدينة أحد أقرأ من أبي جعفر، المرجع السّابق، ٧٥.

[5] يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن إسحاق الحضرمي البصري، المرجع السّابق، ٧٥.

المبحث الثّالث: من نماذج تفاسير التّكامل المنهجي

استدلّ الباحث بالكتب المعتبرة في التّفسير والقراءات، ووجد أنّ هذه الدّراسة قد سبقها المفسرون المتقدمون بإيراد الأدلّة التي ساقوها في مؤلّفاتهم المنتشرة، وإنّهم يُعَدّون كرواد لمن بعدهم من المفسرين، لاسيما المفسرون الذين يعتبرون مصادر في تأليف التّفسير القرآني كالإمام الطّبري، والقرطبي، والجلالين وغيرهم. وأنهم جمعوا في تفاسيرهم بين المناهج، كالتّفسير والقراءات واللّغة والبلاغة والمعتقدات وغيرها، ويتحقق بالأدلة التي وجدناها في المؤلفات المنتشرة على نحو واسع في المكتبات الإسلامية. وينتفع بها الطّلاب والطالبات في أنحاء العالم الإسلامي، وتُستعمل كمواد ومراجع مهمة للبحوث الأكاديمية والعلمية عند الجامعات الإسلامية.

نحن بحاجة ماسّة من الإكثار من البحوث الأكاديمية في شتى التخصصات، وقد وجد الباحث بعض الكتب المعتبرة في التفسير التي تحتوي على مبحث علم القراءات وتأمله تأملاً دقيقاً، ثم بعد ذلك، قام الباحث بتقسيم كتب التّفاسير في هذا المبحث حسب التّاريخ وسنة التأليف، ضرباً للأمثلة وإثباتاً لهذه الدّراسة.

وقد اختار الباحث بعض كتب التفسير لكي تكون مثالاً ونماذجًا للتّفسير المنهجي، لكتب التّفسير الأخرى، وأن تفسير الإمام الجلالين امتثل لكتب التّفاسير على المنهج التحليلي كالبيضاوي، والنّسفي، ومراح [illegible] وغير ذلك، وبالجملة، فإنّ كل كتب التّفاسير التي جرت على هذا التّرتيب أوكل إليها بتفسير الإمام الجلالين، وقد عُرِف تفسير الإمام الطّبري بتفسير القراءات السّبع، فكلّ الكتب [illegible] نفس منهج الطّبري.

قبل الشّروع في البحث، علينا أنْ [illegible] شروطاً ثلاثة لصحة القراءات، وهذه الشروط الثلاثة قد اتفق عليها القراء وذلك مستفاد من قول الإمام ابن الجزري:

فكل ما وافق وجه نحو * وكان للرسم احتمالاً يحوي

وصحّ إسناداً هو القرآن * فـــــهذه الثلاثة الأركان

وحيثما يختلّ ركن أثبت * شذوذه لو أنه في السّبعة[1]

---

[1] ابن الجزري، أحمد بن محمّد بن محمّد الدمشقي، **شرح طيبة النشر في القراءات العشر**. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، ص٧.

وسيتناول الباحث، ما يترتب عليه من أوجه القراءات التي تؤدي إلى ترجيحها، وتفسيرها، مع التّوضيح العلمي، غير أنه احتلّ شرطٌ أو شرطان من الشروط المتفقّة عليها القراء، وهذه الشروط ذكرها ابن الجزري في المتون السّابقة. ولكنه لا يحتلّ أغراضاً رئيسياً لهذا البحث، بل إشارة إلى تنوّع الآراء التي امتلأت بالحجج العلمية لاسيما التي تصدر ممن هو أعلى منزلةً ورتبةً في العلوم القرآنيّة، ويبدأ الباحث بذكر بعض المفسّرين على حسب تعمّقهم في بحث القراءات مع أثرها في تفاسيرهم.

المطلب الأول: تفسير الجلالين

هذا التّفسير التهمت دار القرآن بتدريسه حتى اليوم، وفي التّمهيد السّابق، قد قام الباحث بتوضيح الأسباب التي تؤدي إلى تيسير دراسة تفسير الجلالين إلى غيره، مما يستدعي دراسته ضمن هذا الفصل توضيحاً لمنهجه [illegible] للتكامل بين التّفسير والقراءات، وهل هو مناسب لأن يكون مقرّراً للتدريس في دار القرآن أم لا.

- **التّعريف بالمؤلّف**

كُتب هذا الكتاب على فترتين بيدي المؤلفين، وهما جلال الدين السّيوطي وجلال الدين المحلّي، وقد تفرّد كلٌ منهما بالتأليف على فترة مختلفة عن الأخرى، فالمؤلف الأول لهذا الكتاب وهو جلال الدين محمّد بن أحمد بن محمّد بن إبراهيم المحلّي الشافعي، ولد في سنة ٧٩١هـ بمصر وتوفي أول يوم من سنة ٨٦٤هـ..[1] وكان [illegible] بارعاً في الفنون فقيهاً، وكلاماً، وأصولاً، ونحواً، ومنطقاً، وغيرها[2]. وأمّا المكمل لهذا التّفسير فهو الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبو بكر بن محمّد السّيوطي الشافعي المسمّى المحقق [illegible] الموشحات الفائقة النافعة، ولد في رجب سنة ٨٤٩هـ[3].

---

[1] شذرات الذهب، م٧، ص٣٠٣، وأيضًا طبقات المفسرين، ص٢١٩.

[2] الذهبي، م١، ص٣٤١.

[3] الذهبي، د.محمّد حسين، ج١، ص٢٦٢.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ولد السّيوطي أول رجب سنة ٨٤٩هـ وكانت وفاته في جمادى الأول سنة ٩١١هـ ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة بالقاهرة[١].

يتبين أن السّيوطي قد توفي وعمره ٦١ عاماً و ١٠ أشهر. وقد ترجم العلماء سيرته ابتداء من صغره حتى وفاته بين ذام ومادح، وقد حفظ القرآن الكريم وله من العمر ثمان سنين، وحفظ كثيراً من المتون، وأخذ عن شيوخ كثيرين، عدهم تلميذه الداودي فبلغ بهم واحداً وخمسين، كما عدّ مؤلفاته فبلغ بها ما يزيد على الخمسمائة مؤلف[٢]، وشهرة مؤلفاته تُغني عن ذكرها، فقد اشتهرت شرقاً وغرباً، وحظيت بقبول النّاس، وكان السّيوطي-رحمه الله- آيةً في سرعة التأليف حتى قال تلميذه الداودي: عاينت الشّيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفًا وتحريراً[٣].

- **منهج الجلالين في التّفسير:**

لم تكن هناك فروق جلية بينهما في التأليف، فقد نهج المكمل على منهج أصلي نهجًا كاملاً، وذلك من اختصار وإيجاز تفسيره، فقال السّيوطي في مقدمة تفسير الجلالين: "من ذكر ما يفهم من كلام الله تعالى، والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه، والتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة، على وجه لطيف، وتعبير مليح، وترك التطويل بترك أقوال غير مرضية، وأعاريب محلها كتب القراءات"[٤].

- **التّكامل المنهجي بين التّفسير والقراءات في تفسير الجلالين:**

إنّ هذين الإمامين لم يطيلا الكلام في القراءات واقتصرا على ذكرها عند الآية التي فيها الخلاف بين القراء مع عدم تعيين صاحبها تفصيلاً، وقد اعتبر هذا المنهج بهذا الشّكل في تفسيرهما

---

[١] د.منيع عبد الحليم محمود، **مناهج المفسرين**، القاهرة: دار الكتاب المصري، (١٩٧٨م)، ص٢٤٧.

[٢] وقد ذكر الشّيخ منيع عبد الحليم محمود أن عدد مشايخه بلغ ستمائة شيخاً في جميع العلوم وأما مشايخه في الرواية سماعاً وإجازة فقد وصل إلى مائة وخمسين. انظر د.منيع عبد الحليم محمود. مناهج المفسرين، ص٢٤٧.

[٣] الذهبي، م١، ص٢٦٢.

[٤] مقدمة السّيوطي لتفسير الجلالين.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة النّاس. وذلك كتفسير سورة البقرة: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[1].

ففي هذه الآية اختلف القراء في أداءها بين إثبات الألف وتركها، وكان الإمام السّيوطي قرأ هذه الآية بإثبات الألف، فقال: والمخادعة هنا من واحد، كعاقبت اللّصّ وذكر الله فيها تحسين، وفي قراءة ((وما يخدعون))[2].

وهاتان القراءتان ثابتتان في السّبعة وذلك كما أفادنا الإمام الشّاطبي:

وما يخدعون الفتح من قبل ساكن * وبعد ذاكا والغير كالحرف أولا[3]

أفاد الإمام الشاطبي، أنّ المرموز له بالذّال هم عاصم وحمزه والكسائي وابن عامر قرأوا (يخادعون، وما يخادعون) وأما الباقون من نافع وابن كثير وأبي عمرو قرأوا (يخادعون، وما يخادعون). ولم يجد الباحث داعياً لذكر بعض الأمثلة التي تتعلق بالموضوع، لأن الإمامين الجلالين توجّها في القراءات إلى بيان الوجوه دون قيامهما بتعيين صاحبها، والترجيح بينها وغير ذلك. وهكذا منهجهما في القراءات حتى أتمّا تفسيرها مع سائر سور القرآن.

واهتمّ الإمام الجلالين بالأصول والفرش، وهذان مما أعرض الإمام في تفسيرهما غير أنهما لم يذكرا كلّ الأصول، كترك ذكرهما قضية إسقاط الهمزة في قراءة الابدال للسوسي. مثلاً في كلمة (يؤمنون بالغيب) من سورة البقرة، فقد نبّه الإمامان (يصدقون)، بترك أصول القراءات وهي وجهُ الإبدال. وفي قضيّة أخرى أشارا إليها الإمامان كما في (أأنذرتهم) فقال: "بتحقيق الهمزتين وإبدال، الثّانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه[4]".

ومن هنا يتبين لنا أنّ الجلالين لا يهتمان بوجه القراءات بالتفصيل حتى تكون سهلةً للقارئ، وأنّ التبحّر في القراءات شرطٌ في تدريسها بدأو القرآن، ولا يمكن لمحاضر إدراك هذه الأوجه إلاّ بعد إدراك القراءات بطريقة التعلّم والتأهل في مجالها.

---

[1] سورة البقرة، ٩.

[2] الجلالين، جلال الدين المحلّى وجلال الدين السّيوطي (بدون التّاريخ) تفسير القرآن العظيم للإمامين الجليلين. تايلاند: مطبعة محمّد الهدي وأولاده. م١، ص٣.

[3] الشّاطبي، أبي محمّد بن أبي القاسم بن أحمد. ١٩٩٥م-١٣١٥هـ. حرز الأماني ووجه التهاني. بيروت لبنان: دار الفكر. ص٩٢.

[4] الجلالين. تفسير الجلالين. م ١ ص٣.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وبإيجاز، إن الباحث يقرّ أنّه لم يعثر على التّكامل المنهجي في هذا التّفسير، ولكنه أنسب للقراءة والتّدريس، فضلاً عن بقية التّفاسير الأخرى بناءً على توجيه القراءات الموجودة فيه مع اقتصار تفسيره، وهذه القضية تعطى للمعبر به حرية الرأي والفكر بشرط إرشاد العلوم الموجبة للتفسير في كشفه، لذا يشترط على مَنْ يقوم بتدريس هذا التّفسير أنْ يكون مُتْقِناً للغة العربيّة، والأحاديث، وما يتعلق بها من علوم القرآن والقراءات، وهذه الأدوات تعتبر عناصر مهمةً موجبةً للمعلم.

المطلب الثّاني: تفسير الإمام الطّبري

إنّ هذا التّفسير من أجلّ التّفاسير وأعظمها كما أفاد بذلك الإمام السّيوطي[1]، وقد نال هذا التّفسير هذه المنزلة لنتيجة شموله للكثير من الآراء المتعلقة بذات الموضوع مع بيان رأيه في ترجيح بعضها على بعض، واحتوائه على أوجه الإعراب والاستنباط وقد ذكر فيها أوجه القراءات التي لم تخرج عن السّبعة المتواترة، مع ترجيح أولها مستدلاً بالأدلة النقلية والعقلية، ويعتبر أول كتاب يتحدث عن التّفسير بصورة تميزه عن طرق التّفاسير التي سبقته زمناً، من حيث أنهم يفسّرون القرآن على طريقة نقل الرّواية ممّن سبقوهم زمناً وعهداً كتفسير سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون وغيرهم من المفسّرين.

- **التّعريف بالمؤلف:**

هو الإمام المفسّر للقرآن أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير ابن غالب الطّبري، الإمام الجليل، المجتهد المطلق، صاحب التصانيف المشهورة، ولد سنة ٢٢٤هـ، ورحل من بلده سنة ٢٣٦هـ طالباً للعلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وطاف في الأقاليم فسمع بمصر والشّام والعراق، ثم استقرّ ببغداد وبقي بها إلى أنْ مات سنة ٣١٠هـ وهو يومئذٍ ستة وثمانون عاماً.

وقد شطر الشّيخ عبد الحليم محمود في كتابه لمحة تاريخية عن نشاط الإمام في طلب العلوم: "ولد بآمل سنة أربعة وعشرين ومائتين، واتجه منذ بواكير حياته إلى طلب العلم ودراسة علوم الدين، فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وكتب الحديث وهو ابن تسع سنين، ورحل

[1] السّيوطي، الاتقان في علوم القرآن، م٢، ص٤١٨.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

في طلب العلم إلى كثير من مدن الإسلام ملتقياً بعلمائها، متعرفاً على أخبارها، متزوداً ممّا تَذْخَر به من ألوان الثقافة، حتى توفر له من المراجع والمعارف ما مكنه من تأليف الكتب النافعة الجامعة التي جدّدت اسمه، ورفعت ذكره، ووضعته في مكانه البارز بين علماء الإسلام. لقد رحل إلى الرّي فسمع بها محمّداً بن حميد الرازي وغيره من مشاهير المحدثين، ثم انتقل عنها إلى البصرة فسمع محمّداً بن المعلى، ومحمّداً بن بشار المعروف ببندار، ثُمّ رحل إلى الكوفة فسمع من هناء بن السري وأبي كريب محمّد بن العلاء الهمداني وانتهى به المسير في بلاد العراق إلى بغداد ممّا تَذْخَر به من علم. واستفاد مما يحتوي عليه من ألوان الثقافة الدينية. وتجاوز بغداد إلى الشّام فقرأ القرآن على العباس بن الوليد البيروني بقراءة الشّاميين واستفاد منه، ثم انتهى المسير إلى مصر فلقي بها من مشاهير العلماء محمّداً بن عبد الله بن الحكم والمزني ومحمّداً بن إسحاق بن خزيمة وطبقتهم في وقت. وعاد من رحلة العودة إلى طبرستان ثم انقطع للتدريس ببغداد حتى وافته منيته في عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلثمائة"[1].

وقد خلف الإمام الطبري تصنيفات في شتى الثقافات العلمية كالتّفسير والتّاريخ والفقه، وتهذيب الآثار وغيرها، ونقل عبد الحليم محمود بعض اللطائف الذي تم الحصول عليه من المؤرخين، ومنها ما حكي عن الإمام الطّبري، وذلك قبل شروع الإمام الطّبري في تأليف التّفسير، وهو: "أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: وكم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفني الأعمار قبل تمامه فاختصره لهم في ثلاثة آلاف ورقة"[2].

- **لمحة موجزة عن منهج الطّبري في التّفسير:**

يعتبر تفسير الطّبري من أقدم التّفاسير تأليفاً وتصنيفاً فضلاً عن التّفاسير الأخرى، وقد تضمن فيه المناهج العلمية التي لا يتركها المفسرون قديماً وحديثاً من النّقلي والعقلي، وعرض الطّبري تفسيره النّقلي الذي استنبط من الآيات القرآنية والأحاديث والآثار والقراءات القرآنيّة من السّبع المتواترة، وقد استفاد منه المفسرون من أقواله في قضية عقلية. وقد ذكر محمّد حسين الذهبي في كتابه: "كما يعتبر المرجع الأول عند المفسرين الذين عنوا بالتّفسير النقلي،

---

[1] عبد الحليم محمود، ص٣٩.

[2] المرجع السّابق، ص٤٢.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وإن كان في الوقت نفسه يعتبر مرجعاً مهماً من مراجع التّفسير العقلي، نظراً لما فيه من الاستنباط وتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، ترجيحاً يعتمد على النّظر العقلي والبحث الحر الدقيق"[1].

وهذه الحقائق لا تقف عند مجرّد الدعوى بالبحث الأكاديمي فحسب، بل ثبتت في تفسير الطبري كما أفاد لنا تفسير أول سورة البقرة، فقد عرض الطّبري بعض المرويات في هذا الصدد، منها رواية جابر بن عبد الله بن رئاب محكياً عن محادثة اليهود مع الرّسول بعد ذكر آيتين من أول البقرة[2].

وقد قام الباحث بالتأمل الدّقيق، فتبيّن له أنّ الإمام الطّبري، لا يفسر ولا يؤوّل الآيات القرآنيّة إلا بعد قيامه بمناقشة دقيقة مستشهداً حجته من الآيات الأخرى والأحاديث النّبويّة والآثار ووجوه القراءات، ويشرع بعد ذلك، بتفسير الآية بالعقلي من حيث اللّغة والقراءات، وغير ذلك ويعقبها بالجواب عن السؤال المقدّر كما كرّره في كثير من المواضع في تفسيره وعَبَّرَ عنه بـ"فإن قال لنا القائل"[3].

وقد اعتنى الطبري بالأسانيد اعتناء فائقاً، وأما الأسانيد كما هي معهودة في الإسلام نزلت على منزلة خاصّة في تأكيد صحة الأخبار، ورأى الإمام الطّبري أهمية الأسانيد للتحقق من صحة الروايات، ولذا لم يهملها بل ذكرها بعد تأملها بدقة، غير أنّه لا يقوم بالنّقد والتّجريح إلا في بعض المواضع فقط، ويشير الإمام الطبري إلى أن كل الأسانيد التي استعرضها صحيحة، إلا بعض المواضع لذلك لا يحتاج إلى نقدها. هذا، وقد أخرج الذهبي من تفسير الإمام الطّبري ما دلّ على ذلك، وذلك في تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[4]. ثم جعل ينقد السند الذي يرويه عكرمة عن أيوب[5].

---

[1] الذهبي. التّفسير والمفسرون، ج١، ص٢١٧.

[2] الطّبري، جامع البيان في تأويل القرآن. ج١، ص١٢٥.

[3] هذه العبارة يكاد يستعملها الطّبري في كل المواضع في تفسيره وقد يؤدي إلى بعض احتمالات منها توثيق الحجج التي عرضها الطّبري، أو تفهيم للقارئ معنى التأويل فيما يتعلق بالآية، إزالةً للتوهم من القارئ.

[4] سورة الكهف، ٩٤.

[5] الذهبي، التّفسير والمفسرون، ج١، ص٢٢٣.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وفيما يتعلق بالقراءات، قد دعم الطّبري تفسيره بالأقوال والحجج التي تستند إلى القراءات، معتمداً على الآيات القرآنيّة، والأحاديث النّبويّة، والآثار الصّحيحة ملتبساً بالأسانيد ثم يقوّي حجته بالحجج العقلية من النحو والصرف، والتّاريخ وغير ذلك. وعقب تأويل الآيات بالقراءات يقوم بترجيحها والحكم عليها بطريقته الذاتية بدون الحاجة لدفع القارئ للاتفاق مع وجهة نظره، ونقسم على القراءات المعينة، وسوف يقوم الباحث بإثبات ذلك في هذا الفصل.

وفي رأي الباحث أن هذا المنهج الذي سار عليه الطّبري فيما يتعلق بالقراءات هو التّكامل المنهجي الذي نظراً لترتيب الحجج من الأقوى إلى الأقل قوة، أو من النقلية إلى العقلية، وأيضا أخرج التأويلات من الأسانيد إلى القراءات، وعموماً، ما نسب إلى الإمام الطّبري من القراءات، أو إلى قراءة معينة، يفهم من نظم الشّاطبي أن الإمام الطّبري لا يخرج عن السّبعة في نقاش هذا الموضوع.

- **التّكامل المنهجي بين التّفسير وعلم القراءات في تفسير الإمام الطّبري:**

إنّ للقراءات دوراً هاماً في توسيع معاني الآيات القرآنيّة، فألّف كثير من المفسرين كتباً حول هذا الموضوع، وجعلوها طريقةً لاستنباط الأحكام، فقاموا من دوّن وجمع التّفسير على شكل جامع لتوجيه القراءات مع كشف المعاني الخاصة في الآية المعينة هو الإمام الطّبري، والطّبري لم يترك الآيات التي تتضمن فيها وجوه القراءات، بيد أنه قام بمحاولة تفسيرها وبيان معانيها، وتوجيهها والحكم على صحيحها وسقيمها. وهذا من ضوابط التكامل المنهجي في تأليفه، وقد حقق نجاحًا عظيماً في تأليفه، ووصل إلى نهايته في التكامل، إذ كون تفسيره أساساً للمؤلفات الأخرى التي لم تخرج من المبادئ المذكورة التي أسسها الطّبري.

وقد تعمّق الباحث في تفسير الإمام الطّبري قاصداً إدراك منهج التكامل بين التّفسير، والقراءات، وقد وجد أمثلةً كثيرةً فيما تتعلق بهذا التّكامل، فاستخرج بعضها إثباتاً للحقائق التي هي جوهر هذا البحث، وذلك كما يلي: "ثبتت في سورة الفاتحة وجوه القراءات المتنوعة، فمن ضمنها الآية الرّابعة من الفاتحة وهي ﴿ملك يوم الدين﴾. فقال الإمام الشّاطبي، وملك يوم الدين (ر)اويه (نا)صر.."[1]

---

[1] الشّاطبي، ص٢٢.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

واستناداً إلى تخصصات علم القراءات فحرف الراء في كلمة ((راويه)) والنون في ((ناصر)) هما رمزان للإمام الكسائي وعاصم اللذان يقرآن هذه الآية الكريمة بإثبات الألف بين الميم واللام كما هي ملفوظة في القرآن الكريم. وأما باقي القراء السّبعة يقرؤون بحذفها فتكون القراءة المختبرة والمتواترة قراءتين فقط، وما دونهما شاذّة باتفاق القراء.

وكان الإمام الطّبري يذكر فروقاً بين وجوه القراءات مقترنةً بالأسباب التي تؤدي إلى ذلك. فذكر في التّفسير، "القراء مختلفون في قراءة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فبعضهم يتلوها مَلِكِ يوم الدين، وبعضهم يتلوها مالك يوم الدين، وبعضهم يتلوها ﴿مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ﴾[1]

وفي هذه الآية الكريمة، لم يقم الطّبري بتقسيمها إلى صحيحة وسقيمة، غير أنه صرّح أنه قد ألّف كتاباً في القراءات المسمى (كتاب القراءات) وبيّن فيه تفصيل هذه المسألة، ولم يودّ أنْ يوردها في تفسيره مرة أخرى[2]. وتبين أنّه لا يدع القارئ يتسائل عنها فيذكر العلل للوجوه، ممّا يشير إلى تعامله بمسؤولية مع المسألة. فقام الإمام الطّبري بترجيح إحدى القراءات الثلاث السّابق ذكرها، فرجّح القراءات التي تُقرأ بحذف الألف.

وشرع يتكلم عن أصول الكلمتين من ملك ومالك، فذكر: "ولا خلاف في جميع أهل المعرفة بلغات العرب أن الملك مشتق من المِلك، وأن المالك من المِلك مأخوذ. فتأويل قراءة من قرأ ذلك ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الله ملك يوم الدين خالصاً دون جميع خلقه، الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكا جبابرة ينازعونه الملك ويدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية، فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين ذي الصفة الأفعال، وأن له دونهم ودون غيرهم الملك والكبرياء والعزة والبهاء كما قال جلّ ذكره القدوس أخبر في تنزيله: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[3].

فأخبر تعالى ذكره أنه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا الذين صاروا يوم الدين من ملكهم إلى ذلة وصَغار، ومن دنياهم في المعاد إلى خسار[4].

---

[1] الطّبري، ج١، ص٩٤.

[2] المرجع السّابق ج١، ص٩٤.

[3] سورة غافر، ١٦.

[4] المرجع السّابق ج١، ص٩٤.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وعلى العموم، فإنّ الطّريقة التي نهج عليها الإمام في التّفسير والتّكامل المنهجي هي أعدل طريقة، نظراً إلى ترتيب المبحث والأدلة، فقدّم ما هو أقوى وأولى باتفاق أو ما عنده. فقراءة ملك بدون الألف كانت أقوى وأصحّ رواية عن غيرها، والقرآن أقوى وأصحّ دليلاً من الأخرى فقدمها وأوّلها في الذكر وإنْ كانت القراءات بالملك أو المالك ثبتتا بالأسانيد القوية وتعتبر قراءة متواترة عند القراء.

"وأما تأويل قراءة من قرأ ((مالك يوم الدين)) حدثنا به أبو كريب، قال حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمارة قال حدثنا أبو رَوق، عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس: مالك يوم الدين، يقول: لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكماً كملكهم في الدنيا، ثم قال ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[1]، وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا﴾[2]، وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾.[3] الانبياء: ٢٨.[4]

وانطلاقاً من تفسير الإمام الطّبري لهذا الأمر، يتبين لنا أنّ الملك أخص من المالك، بحجة أنّ لفظ الملك أُشتُق من المالك فهو موجد للملك، وأما عكسه لا يحتمل معنى الملك كما صرح الإمام الطّبري مستدلاً من قول أهل اللّغة والتّفسير، ويمكن القول بأنّ هاتيْن القراءتين اندرجتا تحت قاعدة: العموم والخصوص والمطلق. فبين لنا أيضًا، أن كلمة مَلِكِ زادت فيها الهيمنة فضلاً عن الأخرى، وقام الطّبري بالترجيح، فقال: "وأولى التأويلين بالآية وأصحّ القراءاتين في التلاوة عندي التأويل الأول، وهي قراءة من قرأ (ملك) بمعنى الملك، لأن في الإقرار له بالانفراد بالملك، إيجاباً لانفراده بالملك، وفضيلة لإفادة الملك على المالك إذ كان معلوماً أنْ لا ملك إلا وهو مالك، وقد يكون المالك لا ملكاً"[5].

---

[1] سورة النبأ، ٣٨.

[2] سورة طه، ١٠٨.

[3] المرجع السّابق، ج١، ص٩٤.

[4] سورة الأنبياء، ٢٨.

[5] المرجع السّابق، ج١، ص٩٤.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وفي المواضع الأخرى، غيّر الطّبري طريقة تفسيره، وذلك نظرًا للأولويات، فأخّر وجوه القراءات، على الرّغم من أنها حجّةٌ للآية، وقدّم النقاش اللغوي، وقد اقترنت معها الآثار الصّحيحة توفيقاً للمتطلبات في التّفسير، ومن هذه القضية، رأينا كأن الإمام الطّبري غير في تطبيق منهجه، وكأن منهجه لم يكن منظماً أو كان مبعثرًا مثل الحجارة في الشوارع، لكن الحقيقة أن الطبري ما زال ثابتاً على منهجه، لأنه قد صرّح قبل هذا، أن هذا الكتاب الذي نحن بصدده، وحتى فيه تركيزه للتأويل دون القراءات، وذلك لا يحتاج إلى تقديم القراءات فضلاً عن غيرها أو تعيين القراء مع حجة كلٍ منهم، بل يكفيه أن يذكرها تأييداً للحجج ولا ينصرف عن التأويل إلى غيره.

ومثال ذلك، تفسير سورة البقرة: ٩ وقد أطال الطّبري في النقاش عن "المخادعة" و"الخداع"، وكان الطّبري أكثر ميلاً نحو الخداع في تفسير ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم﴾ ورجّح هذه القراءة على الأخرى نظراً إلى المعنى اللغوي.[1]

فقال في تفسيره موضحاً ذلك، "وإذا كان الأمر على ما وصفنا من خداع المنافق ربّه وأهل الإيمان به، وأنه غير صائر بخداعه ذلك إلى خديعة صحيحة إلا لنفسه دون غيرها، لما يورّطها بفعله من الهلاك والعطب – فالواجب إذن أن يكون الصحيح من القراءة: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم﴾ دون ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم﴾ لأن لفظ المخادع غير موجب تثبيت خديعة على صحة ولفظ خادع موجب تثبيت خديعة على صحة."[2]

وفيما تعوّد الطّبري في تفسيره، أنه لا يترك وجوه القراءات دون الترجيح بين الصحيح والأصح، فذكر أنّ القراءة التي تتفق مع حجج اللّغوية في التفسير أصح عنده من الأخرى، هذا ما أكده في تفسيره بقوله: "ومن الدّلالة أيضًا على أنّ قراءة من قرأ: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ أولى بالصحة من قراءة من قرأ: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ لأنّ الله جلّ ثناؤه قد أخبر عنهم أنهم يخادعون الله، والمؤمنين في أول الآية، فمحال أن ينفي عَنْهم ما قد أثبت أنهم قد فعلوه، لأن ذلك تضادّ في المعنى، وذلك غير جائز من الله عزّ وجلّ"[3].

---

[1] المرجع السّابق، ج١، ص١٥٣.

[2] المرجع السّابق، ج١، ص١٥٣.

[3] المرجع السّابق، ج١، ص١٥٣.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

واعتبر الشّاطبي بأنّ هاتين القراءتين صحيحتان وليس لنا مجال للتفضيل بينهما، لأنّ في تخصصات علم القراءات وجوه القراءات التي جمع الشّاطبي السّبعة التي لا خلاف في صحتها مدعّماً بالحجج عنها، وقد نظّم الشّاطبي بخصوص هذه القضية، وما يخدعون الفتح من قبل ساكن وبعد (ذ)كا والغير كالحرف أولاً أن المشار إليهم بالذال من (ذ)كا، وهم الكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي) وابن عامر قرأوا ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم﴾ بالفتح قبل ساكن، وغيرهم قرأوا وما يخدعون بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها كالحرف الأول (يخادون الله واللذين آمنوا) الذي لا خلاف فيه[1] ولكن الطّبري لم يقصد بترجيح القراءات في تفسيره تفضيلها عن غيرها، بل يرجحها بسبب التّفسير واللّغة من غير أنْ يحكم ببطلان هذه الوجوه، ولكن يحكم بأصحّها باختلاف مع يحكم بالصحيح وينفي غيرها من القراءات، وهذا ثابت في المثال الأول المذكور باستخدام العبارة "بأصح القراءات عندي" التي تشير إلى اجتهاده بدون انسحاب القارئ إلى التحكم برأيه.

وفي موضع آخر، من سورة البقرة: ٣٧ ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ صرح الإمام الطّبري بأن القراءة برفع آدم وكسر كلمات، لها وجه ذاتي حددها على أساس إجماع الحجة من القراءات وأهل التأويل من السّلف والخلف، ولا يجوز تغيير حركتها، وإن كانت غيرها صحيحة، وذلك كالقراءة على نصب آدم ورفع كلمات لدى ابن كثير، وقد عُرف أنّه أحد القراء السّبعة كما نظّم الشّاطبي نظمه، وآدم فارفع ناصباً كلماته بكسر وللمكي عكس تحوّلا[2].

أمر آخر وهو أنْ يقرأ كلُّ القراء ابن كثير فتلقى آدم من ربه كلمات برفع آدم، ونصب كلمات بالكسر، ثم أخبر أن المكي وهو عبد الله بن كثير عكس ذلك، وعكس نصب آدم ورفع كلمات[3].

---

[1] الشّاطبي، ص٩٢.

[2] المرجع السّابق. ص٩٣.

[3] البغدادي، على بن عثمان بن الحسن. سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي. ص٩٣.

وقد أكّد الإمام الطّبري بأنّ القراءة المعتمدة عنده هي القراءة برفع آدم وكسر كلمات لا غير، واحتجّ بأساس اللّغة والتأويل من العلماء خلفاً وسلفاً وادعى بالإجماع، وكان رأيه متفقاً لما عليه جمهور القراء ما عدا ابن كثير، وقد دلّ على ذلك ما في تفسير الطّبري:

وقد قرأ بعضهم ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٌ﴾ فجعل الكلمات هي المتلقية آدم، وذلك، وإن كان من جهة العربيّة جائزا، إذ كان كل ما تلقاه الرجل فهو له متلقّ، وما لقيه فقد لقيه، فصار للمتكلم أنْ يوجّه الفعل أيهما شاء، ويخرج من الفعل أيهما أحب، فغير جائز عندي في القراءة إلا رفع آدم على أنه المتلقي الكلمات، لإجماع الحجة من القراءة وأهل التأويل من علماء السلف والخلف، على توجيه التلقي إلى آدم دون الكلمات، وغير جائز الاعتراض عليها فيما كانت عليه مجمعة بقول من يجوز عليه السّهو والخطأ[1].

ينبغي للإمام الطّبري أن يبيّن القراء، حتى لا يلتبس القارئ ويطمئن بأن القراءة على الوجه المرضي عنده ولا يأتي من قبل مجهولين منزلة، ومكاناً، وكان ابن كثير له مكان في القراءات، وقراءتها معتبرة ومتواترة عند القراء وثابتة بحجج قوية كما أفاد الشّاطبي.

والخلاصة:

إن التّكامل المنهجي بين القراءات والتّفسير كما وضح من تفسير الطّبري يتمثل في الآتي:

١. يجب مراعاة وجوه القراءات ثم توظيف تفسيرها مستدلاً بالأدلة التي رتّبت بشكل مناسب على حسب الأولويات.
٢. ثم التّرجيحات العلمية والأكاديمية التي يتميز بها تفسير الطّبري للقراءات.
٣. يعرض الطّبري وجوهاً للقراءات تبياناً للتّفسير ووضعها عقب التّفسير للآية المعنية لأنها من الحجج العقلية. ومن أمثلتها تفسير المختلفة التي ذكرها ولا ينقص شيئا من التّكامل المنهجي بين التّفسير والقراءات عند الطّبري كما أفادنا في التّفسير بأن الخلاف فيه من حيث التّرتيب فقط، وهذا يجعل تفسير الطّبري لا يمل القارئ، فعرض القراءات إما مقدّم في البيان ومتأخر فيه.

---

[1] الطّبري، خ١، ص٢٨١.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المطلب الثّالث: تفسير القرطبي

سبق وتحدث الباحث عن الطّبري الذي فسّر القرآن مستنداً إلى القراءات المعينة مع الترجيح بينها، وإن كانت لا تتعلق بالأحكام الفقهية، وإنما كان تركيزه على الطّريقة العامّة التي تستغرق ألوان الثقافة العلمية كما تحدثنا عنها سابقاً، ولكن الإمام القرطبي يوجّه تركيزه على الأحكام أكثر من الطّبري ولذلك اختار الباحث هذا الإمام فضلاً عن التّفاسير الأخرى التي فيها التّكامل المنهجي بين التّفسير والقراءات.

- **التعريف بالمؤلف:**

هو الإمام المفسر شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، وقد كانت نشأة هذا العالم في عصر الموحدين بقرطبة، حاضرة الأندلس وظل يعيش بها حتى سقطت قرطبة في أيدي الفرنجة سنة ٦٣٣هـ فانتقل إلى مصر واستقر بها في منية بني خصيب (المنيا) حتى لقي ربه ليلة الاثنين التّاسع من شوال سنة ٦٧١هـ (١٢٧٣م)[١].

- **لمحة موجزة عن منهج القرطبي في التّفسير:**

فإذا تأملنا هذا التّفسير يتضح لنا أن الإمام القرطبي قد نهج على المناهج الآتية:

- **إهتمام الإمام بالأحاديث:**

ومن مميزات تفسير الإمام القرطبي أنه اهتمّ بالأحاديث وقد اتضح ذلك في كثير من المواضع، وإذا كان الدّليل على المسألة حديثاً فهو يجمع بين الفقه والحديث. ويعض الفقهاء لا يلتفت إلى صحّة الأحاديث في تحقق الأحكام، فمن ذلك ما أورده في المسألة السّابعة من آيات الصيام عند الكلام على وجوب التتابع في صوم القضاء بعض الأحاديث في ذلك، فقال: "اختلف النّاس في وجوب تتابع صوم القضاء على قولين ذكرهما الدارقطني في سننه، روى عن

---

[١] ابن فرحون (بدون التّاريخ) الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب. مطبعة السعادة: مصر ص ٣١٧، وانظر أيضًا السّيوطي. طبقات المفسرين. ص ٢٨، الذهبي. التّفسير والمفسرون. ج١.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

عائشة رضي الله عنها قالت: نزلت (فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ آخَر مُتَتابعات) فسقطت (متتابعات) قال: هذا إسناد صحيح".

- **اهتمام الإمام بعلوم القرآن:**

وكان اهتمام الإمام القرطبي بعلوم القرآن واضحًا، وذلك من عرضه لسبب نزول الآيات، والنّاسخ والمنسوخ وغير ذلك من الأمثلة.

- **تقسيم الآية إلى المسائل:**

وهذه المسائل واضحة ومشهورة في تفسيره، وقد أشار الإمام في مقدمة تفسيره، فتراه يُقسّم الآية إلى عدة مسائل بحسب الأحكام التي تضمنتها، كتصريحه في آية القتل: (فيه عشرون مسالة)[1] وفي آية الغنائم (فيها سبعة وعشرون مسألة)[2] ولكن ليس كل المسائل تتعلق بالأحكام فحسب، بل يتجاوز بعضها إلى الفضائل وذلك كقوله في المسألة الثّانية من آيات الصيام (الثّانية: فضل الصوم عظيم وثوابه جسيم...) كما صرّح في مسألة العقدية فذكر كلام أهل السّنة، وردّ على كلام أهل التّعطيل والفلاسفة.

- **مراعاة الدّليل وعدم التعصب للمذاهب:**

وقد اتضح لنا أن الإمام القرطبي قد استمسك بالمذهب المالكي بالأدلة الفقهية التي تضمّنها هذا التّفسير. غير أن الإمام لا يشير إلى تعصبه للمذهب الذي تمسّك به، وذلك كما قال في مسألة صلاة عيد الفطر عند تفسير قوله تعالى ﴿ولتكملوا العدّة...﴾، في المسألة السّابعة عشرة في حكم صلاة عيد الفطر في اليوم الثّاني مع نقله عن ابن عبد البر أنه لا خلاف عن مالك وأصحابه أنه لا تصلّى صلاة العيد في غير يوم العيد ولا في يوم العيد بعد الزوال، وحجتهم في ذلك أن صلاة العيد لو قضيت بعد خروج وقتها لأشبهت الفرائض، وقد أجمعوا في سائر السنن

---

[1] القرطبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأندلسي، **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت: دار الكتب العلمية، ج٥، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، ص١٠٢٠.

[2] المرجع السّابق، ج٨، ص٣٠.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

أنّها لا تقضى فهذه مثلها[1]، فقال الإمام القرطبي توضيحاً لذلك: قلت: والقول بالخروج إن شاء الله تعالى أصحّ للسنة الثابتة في ذلك، ولا يمتنع أن يستثنى الشارع من السنن ما شاء فيأمر بقضائه بعد خروج وقته، وقد روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (من لم يصل ركعتي الفجر فليصلّهما بعد أن تطلع الشّمس)[2].

- **ذكر الشواهد من أقوال العرب وأشعارهم:**

وقد اهتم القرطبي في تفسيره بالمسائل اللّغويّة، وذلك في تعيين الأحكام الفقهية. ومن أمثلة ذلك ما قال في حق الإحصار، وذكر الخلاف بين (حصر) و(أحصر) فقال: قلت: فالأكثر من أهل اللّغة على أن حصر في العدو، وأحصر في المرض، وقد قيل ذلك في قوله تبارك وتعالى: "للفقراء الذين أحصروا.." وقال ابن السّيد:

وليس حجر لئيم أن تكون به * عليك ولا أن أحصرتك شغولُ

وقال الزجاج: الإحصار عند جميع أهل اللّغة إنّما هو من المرض فأمّا من العدو فلا يقال فيه إلا حصر[3] وقد استدلّ الإمام بكثير من الأمثلة اللغويّة.

- **إهتمامه بالمسائل الأصولية:**

وقد صرّح بذلك الإمام في تفسيره في قضية غسل الوجه الذي طال كلام العلماء فيه، فذكر القرطبي: وإذا تقرّر هذا من حكم الوجه فلابد من غسل جزء من الرأس مع الوجه من غير تحديد، كما لابد على القول بوجوب مسح الرأس من مسح جزء منه من الوجه لا يتقدر، وهذا ينبني على أصل من أصول الفقه وهو " ما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب مثله[4].

ومن الأمثلة أيضًا ما قاله في المسألة السّابعة والعشرون، حيث قال عن آية الوضوء عند قوله تعالى: ﴿...وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ...﴾[5]، الآية،

---

[1] المرجع السّابق، ج٢، ص٣٠٢،

[2] المرجع السّابق، ج٢، ص٤٠٢٠.

[3] المرجع السّابق، ج٢، ص٨٤٢٠.

[4] المرجع السّابق، ج٦، ص٧٥٠.

[5] سورة المائدة، ٦.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وقد تكلم فيه عن قضية العام والخاص، فقال: تقدم في النساء مستوفى، ونزيد هنا مسألة أصولية أغفلناها هناك، وهي تخصيص العموم بالعادة الغالبة، فإن الغائط كناية عن الأحداث الخارجة من المخرجين كما بيّناه في النساء، فهو عام غير أن جلّ علمائنا خصصوا ذلك بالأحداث المعتادة، الخارجة على الوجه المعتاد فلو خرج غير المعتاد كالحصى، والدود أو خرج المعتاد على وجه السلس والمرض لم يكن شيء من ذلك ناقضاً[1].

- **التّكامل المنهجي بين التّفسير وعلم القراءات في تفسير الإمام القرطبي:**

إنّ وجه القراءات التي تجلى في هذا التّفسير أكثر ميلاً إلى التوجيه مع ترجيح بعضها دون بعض، وهذا غير تفسير الإمام الطبري الذي سبق ذكره. وأوجه القراءات في هذا التّفسير، قام القرطبي بتوضيحها مستدلاً بالبحث اللغوي، وبعضها تركها لمجرّد التوجيه، ولكن اهتم القرطبي بالأسانيد كما سيذكر البحث في هذا المطلب.

- **عرض أوجه القراءات الموجودة:**

يمكن القول بأن هذا التّفسير مملوء بالأوجه التي اتفق عليها القراء، وغير المتفق عليها، وذلك كحركة "الحمدُ لله" ولم ينقل القرطبي السّبعة ولا العشرة قراءة غير ضمة في الدال "الحمد" إلا القرطبي، ولم يهمل القرطبي الإجابة عن هذا السؤال بلا دليل بل ذكر الإمام القرطبي حجةً على ما قاله، وذلك:

"وأجمع القراء السّبعة وجمهور النّاس على رفع الدال من "الحمد لله". وروي عن سفيان بن عيينة بن العجاج: "الحمد لله" بنصب الدال، وهذا على إضمار فعل[2].

وإن كان هذا الوجه لا يتفق عليه القراء، ولكن له حجة في التّفسير، فالقرطبي بحجة ثابتة على ذلك من قول سيبويه: "إن سيبويه قال: إذا قال الرجل "الحمدُ لله" بالرفع ففيه من

---

[1] المرجع السّابق، ج ٦، ص٦٩ — ٧٠.

[2] المرجع السّابق، م١، ص٩٥.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المعنى مثل ما في قولك: حمدت الله حمداً، إلا أن الذي يرفع الحمد يخبر أنّ الحمدَ منه، ومن جميع الخلق لله، والذي ينصب الحمد يخبر أن الحمد منه وحده لله"[1].

بل ذكر القرطبي الوجه الثّالث وذلك بكسر الدال "الحمدِ" تابعاً لكسر الهاء " للهِ" فقال القرطبي: "وروي عن الحسن بن أبي الحسن وزيد بن علي: الحمدِ للهِ، بكسر الدال على اتباع الأول الثاني".

وبناءً على هذه النّكتة اللطيفة، تترتب خلاصة هامة ذلك بأنّ القرطبي لم يقتصر تفسيره بوجه يتفق عليه القراء، بل جاوز إلى الأوجه المختلف فيها مع ذكر البرهان اللغوي والأسانيد الواضحة، وهذا الأمر يحقق به يوسّع المعاني، ولا يحصره على معنى واحدٍ فقط، ويلاحظ الباحث أنّ كلام القرطبي يفيد ترجيحاً علمياً بطريقة غير مباشرة، وذلك باستعمال الجمع والجمهور في القراءة التي سبق عرضها، ولم يحكم بشواذ غيرها كالقراءة بكسر الدال، ونصبها لأن لهما أصل من حيث اللّغة، والاستعمال، وعلى الرّغم من اختلال الشّرطيْن في صحّتهما وهما لم يثبتا في المصاحف الستة، والأسانيد.

وفي آية أخرى من هذه السورة، ذكر القرطبي البحث عن تشديد الياء في "إيّاك" وتركها، فقال في تفسيره: "الجمهور من القراء والعلماء على شدّ الياء من "إياك" في الموضعين، وقرأ عمرو بن فائد "إياك" بكسر الهمزة وتخفيف الياء، وذلك أنه كره تضعيف الياء لثقلها، وكون الكسرة قبلها، وهذه القراءة مرغوب عنها، والمعنى يعبدك نعبد أو ضوءَك، وإياك الشمس (بكسر الهمزة): ضوءها. وقرأ الفضل الرقاشي "أياك" (بفتح الهمزة) وهي لغة مشهورة، وقرأ أبو السّوار الغَنَوي: هياك في الموضعين

وأمّا القراءات الثّلاث المذكورة من إياك، أياك، هياك، فقد استدل بها القرطبي بالشّعر، وقد رجّح القرطبي بين هذه الأوجه الأربعة قراءةَ إيّاك، وأما البواقي الثلاثة تعتبر قراءةً شاذّةً من حيث لم تثبت في المصاحف الستة على الرغم أنها ثابتة بالقواعد العربيّة والأسانيد الروية.

---

[1] المرجع السّابق، م١ ص٩٥.

[2] المرجع السّابق، م١، ص٩٦.

[3] المرجع السّابق، م١، ص١٠٢.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

- **مواضعُ أوجه القراءات:**

ويحسن بنا أنْ نعرض فيما يلي بعض أوجه القراءات عند القراء استيفاءً لجوانب البحث، وذلك كقراءة "مالك يوم الدين"، وقد أطال الإمام القرطبي البحث في هذه الآية القرآنيّة، أكثر مما عرضه القراء، وذلك في بعض الأمور، ومنها القراءات من حيث اللّغة لثبوت التّفسير وتوسيع المعاني، ثم اتم تفسيرها بالترجيح بين القراءات وعبّره بقُلْتُ.

بدأ الإمام القرطبي مبحثه بذكر اختلاف القراء والعلماء على هذه الآية بين إثبات الألف، ونصب الميم ومد الكاف. فذكر الرواية من محمّد بن السميقع بنصب مالك[1] واسند قراءة مد الكاف إلى ناصر في إحدى رواياته وأيّد حجته بما ذكره المهدوي، وغيرهم من النحاة على ثبوتها[2]، وهما قراءتان غير ثابتتيْن في السّبعة أو العشرة، ولكن ذكرهما القرطبي على وجهة الرواية وتوسيع المعاني ولم يقم بترجيحها على غيرهما.

فشرع بعد ذلك بحث "مالك" بالتفصيل، ففرز بين الرواية الثابتة، وغيرها بتقسيمها إلى مسائل، ووضع هذا البحث في المسألة الخمسة عشرة، فدلّ على صحّتهما باسنادها إلى النّبي صلّى الله عليه وسلّم والصحابة[3]، فترجّح هذا المبحث على الأعمّ والأبلغ بين اللفظيْن مالك وملك. واختار أبو عبيدة والمبرد قراءة "ملك" لأنها أعمّ وأبلغ من قراءة مالك، فذكر العلة منها: "إذ كل ملك مالك، وليس كل مالك ملكاً ولأن الملك نافذ على المالك في ملكه، حتى لا يتصرف إلا عن تدبير الملك"[4].

وفي نفس الصّفحة ذكر القرطبي عللاً من قراءة مالك، وأتى بالروايات. وتم البحث بالترجيح. فقال: "قلت: وقد احتج بعضهم على أن مالكاً أبلغ لأن فيه زيادة حرف، فلقارئه عشر حسنات زيادة عمن قرأ ملك. قلت: هذا إنما يرجع إلى الصيغة لا إلى المعنى، وقد ثبتت القراءة بملك وفيه من المعنى ما ليس في مالك، على ما بينا والله أعلم"[5].

---

[1] المرجع السّابق، م١، ص٩٨.

[2] المرجع السّابق، م١، ص٩٨.

[3] المرجع السّابق، م١، ص٩٨.

[4] المرجع السّابق، م١، ص٩٨.

[5] المرجع السّابق، م١، ص٩٩.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ومن هذه الخلاصة، تبيّن لنا أنّ القرطبي رجّح قراءة ملك من مالك، وإن كان هناك رأي من قال زيادة الثواب على زيادة الأحرف. كما تعوّد القرطبي في المواضع بذكر الأوجه ذكر هنا الأوجه المتفقة عليها وغيرها. ولم يطل الكلام في الموضع المختلف فيه عند اللغويين، أو النحاة [illegible] إذا كان الاختلاف منطلق من القراء فيطيل ذكر الأدلة من العلماء ثم أتمّها بالترجيح من عنده.

يمكن القول أنّ القرطبي يقوم بالترجيح بعبارة "قلت" إذا كان البحث يتعلق بالترجيح بين الروايات الثابتة عن القراء الذي نحن بصددهم، غير أنه رجّح على طريقة غير مباشرة، وإنْ كان المبحث لا ينطوي على اختلاف القراء بل يحوم حول النحاة أو الروايات فهو مقبول عند القراء.

- **عرض آثار القراءات على الأحكام الشّرعية:**

وقد ذكر الإمام القرطبي المواضع المتعلقة بالأحكام الشّرعية، منسجماً مع عنوان كتابه الجامع لأحكام القرآن، ومنها ما يتعلق بحكم المسح، فذكر أنّ النّافع وابن عامر والكسائي قرأوا بالنصب "وأرجلَكم"[1] وعرض الروايات من النافع بأنه قرأ بالرفع بقوله، "وروى الوليد بن مسلم عن نافع أنه قرأ "وأرجلُكم" بالرفع وهي قراءة الحسن والأعمش سليمان"[2].

وهذه ليست الرواية في علم القراءات بل يسمى الطّرق والباقون من القراء من ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة قرأوا بالخفض "وأرجلِكم" [illegible] ترك الإمام القرطبي الإمام عاصم أحد القراء السّبعة، وقد اشتهر بأنه قرأ كقراءة ابن كثير وأبي عمرو، وحمزة، فذكر التّفسير مع آثر هذه القراءة على الأحكام بقوله، "فمن قرأ بالنصب حمل العامل [illegible] وبنى على أن الفرض في الرجلين الغسل دون المسح ، وهذا مذهب الجمهور وكافة العلماء وهو الثابت من

---

[1] المرجع السّابق، م٦، ص٦١.

[2] المرجع السّابق، م٦، ص٦١.

[3] المرجع السّابق، م٦، ص٦١.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

فعل النّبي صلّى الله عليه وسلم، واللازم من قوله في غير ما حديث، فقد رأى قوماً يتوضأوون وأعقابهم تلوح فنادى بأعلى صوته (ويل للأعقاب من النار أسبغوا الوضوء)"[1].

ثم رجّح الإمام القرطبي الغسل على المسح، وقد أطال الكلام عليه كما ذكر الباحث بأنّ القرطبي إذا كان يتحدث عن القراءات التي فيها اختلاف بين القراء المعتبرين فيعبّر عنها بقلت، إشارة على أهميتها، فعلى ذلك ذكر الإمام القرطبي تعليقه في ثلاثة مواضع بقلت ما ينطوي على هذا العدد.[2]

فيتبين لنا أن الإمام القرطبي أكثر ميلاً إلى غسل الرجل دون المسح.

- **التّكامل المنهجي للقرطبي بشكل خاص:**

نجد أن الإمام القرطبي أقرّ في منهجه على بعض الأمور، واستمرّ عليه من أولى خطواته في التّفسير حتى ختامه، وانطلاقاً من تعقّب الباحث بالعناية يبدو أنّ الإمام القرطبي:

- لا يبدأ خطوته في بيان وجوه التفسير بالقراءات إلا بعد ما تبيّن له أن الاختلاف برز في أول الآية في تفسير (مالك يوم الدين) عند فاتحة الكتاب، وإلا أخّره عند وسط البحث في تفسير (أرجلكم).
- كان الإمام القرطبي قد التزم في تفسيره بمنهجية دقيقة، وهي تبدو في كثير من بيانه لاسيما ما يتعلق بالقراءات، وأول الأشياء التي فعلها الإمام القرطبي قبل الشروع في القراءات عرض النسب، كنسبة قراءة (أرجلكم) السّابقة للحسن والأعمش، وإن كانت القراءات ممّا لم يتفق القراء على صحتها، غير أنّ الإمام القرطبي حلّ مشاكلها باللّغة كالتلفظ بالرفع (أرجلكم) وفي نفس الوقت لم يدافع عن الأسانيد بطريقة الجرح والتعديل كعلوم الحديث باجتهاد بطريق إثباتها بالنّقل.
- وإذا كانت القراءات اندرجت تحت مجموعة صحيحة، فنسبها إلى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه، أو ذكر "قراءة مروية عن الرّسول"، وأما غيرها لم ينسبا إلى الرّسول أو الصّحابة فذكرها "قرأ فلان".

---

[1] المرجع السّابق، م٦، ص٦١.

[2] المرجع السّابق، م٦، ص ٦٢ — ٦٣.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

- لا يقوم القرطبي بالتركيز على بيان التّفسير الذي تصدر من القراءات الشاذّة، بل وجّه تركيزه إلى القراءات الصحيحة، فاستنبط أحكامها، وذكر عللها، وعيّن المختلِفين عنها والمتفقين عليها، ورجّحها معتمداً على أساس البراهين الذي رضيتْ نَفْسَهُ بها.

الخلاصة:

انطلاقاً من منهج الإمام القرطبي في تفسيره ظهرت النتائج:

كان الإمام القرطبي يتابع المناهج التي نهج عليها المفسّرون عادة، وذلك من عرض علوم القرآن، وتفسير الآية بالآية، وبالأحاديث، وغير ذلك. وإن كانت دار القرآن ترغب أن تجمع التّفاسير على هذه الدلالة فتفسير الإمام القرطبي من أنسب التّفاسير، نظراً إلى الوجوه المعروضة لذلك، ولكن يحتاج إلى فرزها إلى الشيع والآثار والشواذ من القراءات حتى لا يشتبه الطّلاب بين الصحيحة والشاذّة. وذلك دليلاً على الطلاب ليحدّدوا أنواعها بسهولة.

المطلب الرّابع: تفسير ابن عادل الحنبلي

هناك بعض الاختلافات من حيث الاعتماد على المذاهب الفقهية والإيثار بالأحاديث النّبويّة والقراءات القرآنيّة على شكل خاص. فهذا الإمام المفسّر من معتمدي مذهب الإمام أحمد ابن حنبل، وقد اختار الباحث هذا الكتاب لإبراز الفرق بين المفسّرين معتمدي مذهب الإمام الشّافعي وهو الإمام الطّبري، والمفسّر الذي يسلك مسلك الجمع الآراء الفقهية المختلفة، والحكم على رجحان الأقوال وهو الإمام القرطبي، ثم الباحث على المفسّر من متبعي المذهب الحنبلي وهو الذي نحن بصدده. وزيادةً على ذلك، إنّ الإمام ابن عادل ذكر وجوهاً أكثرها رواية ممّا عرضها القرطبي، وألين نقداً من الإمام الطّبري وقد ظهر ذلك في كتابه بوضوح. وقد سبَقَ البحثُ المتعلق بالطّبري والقرطبي من حيث التّكامل المنهجي، ويشرع الباحث في تناول الإمام ابن عادل الحنبلي.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

- **التعريف بالإمام ابن عادل الحنبلي:**

هو أبو حفص عمر بن علي سراج الدين الدمشقي الحنبلي النعماني[1]، معتمداً على آخر اللقب لابن عادل وهو النعماني لا يدلّ على أنه تنحّل مذهب الإمام الحنفي لاحقاً بل اللفظ منسوب إلى منطقة بين بغداد وواسط[2]، كثير من المعلومات لهذا المفسر لايمكن التأكد منها لأن سيرته لم تدوّن، ومن ذلك:

- لم يحدد المؤرخون تاريخ مولد المؤلف بالضبط، ووفاته إلاّ تاريخ تمام كتابة تفسيره سنة ٨٧٩هـ، وقد ذكر في عنوان الكتاب بأنه توفي بعد سنة ٨٨٠هـ[3].
- إنّ من سنن الكون في الدراسة التقاء المعلم والمتعلم، وبذلك أفادنا سيّد المرسلين وجماعة من الصحابة والعلماء، ولكن لم توجد أية معلومات تتعلق بدراسة هذا المفسر عن شيوخه الذين تأثر بهم ولا تلامذته الذين يأخذون الدّراسة عنه، وقد صرّح بهذا المحقق لهذا التّفسير الجليل[4].

وقد لقّبه العلماء وأثنوا عليه، ومنهم العلامة الخطيب الشربيني الذي أثنى عليه وعرفه بـ "الإمام"، وعرفه بعض الناس بـ "العالم العلامة والبحر الفهامة" وبعض آخر بـ"خاتمة وعمدة المحققين" وقال الزركلي بعد ذكر نسبه: "صاحب التّفسير الكبير... وقد خلف لنا التصانيف ومن أهمها الكتاب الذي نحن بصدده وحاشية المحرر في فقه مذهب الإمام أحمد بن حنبل[5]. على الرّغم من أن هذا الإمام لم تدرك سيرة حياته، ولكن هذا الأمر لا ينقص شيئا من أهليته في العلوم القرآنيّة أو الفقهية، كان هذا التفسير واضحاً جداً من تفسيره الذي اشتمل على العلوم الموجبة له كاللّغة، والأحاديث، والعلوم القرآنية والقراءات والأصول وغير ذلك.

---

[1] معجم البلدان م ٢ ص ٤٦٣ — ٤٧٠، الأنساب م٢، ص٤٩٢.

[2] أبو حفص، عمر بن علي الدمشقي، **اللباب عي علوم الكتاب**، بيروت: مكتبة دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م — ١٤١٩هـ)، ص٢١.

[3] أبو حفص، اللباب في علوم الكتاب.

[4] المرجع السّابق، م١، ص٢١.

[5] المرجع السّابق، م١، ص٢٢.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

- **منهج الإمام ابن عادل في التّفسير**

وهذا الفقرة تعرض لمحة موجزة عن منهج الإمام ابن عادل من المعتمدين في المذهب الحنبلي، وكما بين كثير من العلماء بأنّ هذا المذهب أكثر المذاهب ميولاً إلى الأحاديث النّبويّة، وبذلك، استعان الإمام ابن عادل بالأحاديث في كشف مراد الآية القرآنيّة. ولذا قام الباحث بمحاولة كشف بعض مناهج المؤلف معتمداً على الكتاب الذي نحن بصدده وهو تفسير اللباب في علوم الكتاب.

١. تمسك المؤلف باللغة العربيّة في تعيين المعاني من حيث المفردات والإعراب والبلاغة، وقد انعكس تمسكه باللّغة في مناقشة معاني الكلمات القرآنيّة، وأتى بالأمثلة من استخدام العرب لتلك الكلمات في كلامهم.

٢. لا يتوقف المؤلف عند استخدام العرب لتلك الكلمات في كلامهم، بل يأتي بالشّواهد من الشعر، حال استعمال تلك الكلمة، وإن كان المؤلف لم يشرح بالتفصيل ما يتضمنه، كما أنّ الشعر برهان واضح له في بيان المعاني حجة أيضًا للإعراب وبيان بلاغة الآيات المعنية.

٣. لا يتوقف المؤلف عند اللّغة والأحاديث النّبويّة والشعر فقط، بل يعرض أقوال العلماء السّابقين له زمناً، ومقامه، كقول الزجاج الاصفهاني، وابن الخطيب، وأبي روق (عطية بن الحارث الحمداني)وغيرهم من العلماء، وقد أكثر المؤلف إعادة قول ابن الخطيب في تفسيره كأنه يتأثر بقوله، ويمكن لنا أن نلاحظ ذلك في كثير من المواضع في تفسيره.

٤. استشهد المؤلف بالقراءات وحجيتها مقدماً ذلك بالأدلة العقلية من اللّغة والشعر وكلام العلماء عنها، وقد اعتمد المؤلف على الأسانيد في القراءات، واستند إلى قراءة معينة برجالها ولم يقم بنقد أسانيدها بل نقد قراءتها من حيث اللغة بطريقة دقيقة.

٥. استشهاد المؤلف بالقراءات أكثر عدداً من القرطبي، كما أن القرطبي أكثر احتجاجاً بالقراءات من الطّبري من حيث الوجوه، والفرق بين هؤلاء الثلاثة، أن الطبري لم يخرج من السّبعة وقام بنقدها، وترجيحها، ولكن القرطبي أحضر وجوهاً، وأسانيد أكثر منه، ولم يحرص على الترجيح إلا في بعض المواضع، وقد قام القرطبي بمواجهة الأحكام

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الشّرعية، ولكن عظمة هذا الإمام برزت في تفسيره كأنه يملك هذين المنهجين من القرطبي والطّبري.

- **التكامل المنهجي بين التّفسير وعلم القراءات في تفسير الإمام ابن عادل الحنبلي**

وهذا التّفسير مجموع في خمسة وعشرين مجلداً، وأصله أقل من هذا العدد حيث قام المحقق بزيادته عند ترجمته عن المؤلف، والمناهج التي نهج عليها المؤلف، وإضافة المداخل في علم التّفسير، والبحث الذي يتعلق بالقراءات في هذا التّفسير أطول وأعمق من التّفسير الطّبري والقرطبي، وبناءً على ذلك، قام الباحث باقتباس أمثلة بإيجاز للاستشهاد بها على التّكامل المنهجي في تفسيره.

- **عدم التفاضل بين القراءات المتواترة:**

وممّا ذهب إليه ابن عادل عدم التفاضل بين القراءات المتواترة، حيث قال في تفسير (مالك يوم الدين)، "وقرئ: مالك بالألف، ثم شرع بعد ذلك في بحث وجه الاتفاق، والاختلاف بين إثبات الألف وإسقاطها من غير استدلال، إلى أن قال المصنف: قام المؤلف ببيان كلٍ من الوجهين قبل الشروع في بحث الشواذ من القراءات، والتحرير الذي قدمه المؤلف للجميع بطريقة احترام الآراء، فلم يتفاضل بين الوجوه المتفقة على تواترها، وهذا اتضح في جميع تفسيره، فقال المؤلف ناقداً المعرضين: "وقد رجّح كل فريق إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقط القراءات الأخرى، وهذا غير مرضي، لأن كلتيهما متواترة، ويدلّ على ذلك ما روي عن ثعلب —رحمه الله تعالى– أنه قال: إذا اختلف الإعراب والقراءة عن السّبعة، لم أفضّل إعراباً على إعراب القرآن، فإذا خرجت إلى كلام النّاس فضّلت الأقوى" ونقله أبو عبيد الزاهد في (اليواقيت)[٢].

---

[١] المرجع السّابق، م١، ص١٨٤.

[٢] المرجع السّابق، م١، ١٨٥.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

لم يتوقف المؤلف عند هذا الدّليل، بل عرض دليلاً آخر من قول أبو شامة[1] حين ذكر قوله تعالى (مالك يوم الدين): "قد أكثر المصنفون في القراءات والتّفسير من الترجيح بين هاتين القراءتين، حتى أن بعضهم يبالغ في ذلك إلى حدّ يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين، وصحّة اتصاف الرب -سبحانه وتعالى- بهما حتى إني أصلّي بهذه في ركعة وبهذه في ركعة"[2].

وهذه هي الطّريق الأولى للمؤلّف في بيان وجوه القراءات، ولم يدخل المؤلف إلى بحث الوجوه إلا بعد ذكر المتواتر منها، واحترز غاية الاحتراز في نقد القراءات التي اتفق القراء على ثبوتها.

وكما أشرنا الآية السّابقة، فالآية من سورة البقرة: ٣٧ (فتلقى آدمُ من ربه كلماتٍ) و(فتلقى آدم من ربه كلماتٌ)، ذكر ابن علي الحنبلي أنّ هاتيْن القراءتيْن صحيحتان ومقروءتان، وقبل الشروع في الذكر قام بتوضيحها من خلال القواعد اللّغويّة، فقال: "وإذا كان هذا أصل الكلمة، وكان من تلقى رجلاً فقد تلقاه فقد تلقى كل واحد صاحبه، فأضيف الاجتماع إليهما معاً صلح أن يشتركا في الوصف بذلك، فجاز أن يقال: تلقّى آدم بالنصب على معنى جاءته من الله، تعالى كلماتٌ"[3].

ويؤيد هذا الوجه قراءة ابن كثير، فقال ابن علي الحنبلي: "وقرأ ابن كثير بنصب آدم، ورفع كلمات، وذلك من تلقّاك فقد تلقّتك فتصح نسبة الفعل إلى كل واحد"[4].

وفي هذه المسألة، لم يقم المؤلف بعرض الأقوال حول هذه القراءات بل استكفى بقراءة ابن كثير، كما ظهرت هذه القضية في سورة الفاتحة الآية [illegible]، وسورة البقرة الآية ٣٧ قواعد، وذكر المؤلف قراءتين فقط، تدّلان على اقتصار القراءة على ما ذكره من العدد لا غير، مع عدم وجود شواذ، لذلك، لم يطل المؤلف البحث، وتؤخذ من هذه القضية أيضًا عرض المؤلف

---

[1] عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي أبو القاسم: شهاب الدين أبو شامة. فوات الوفيات م١، ص٢٥٢.

[2] أبو حفص، م١، ص١٨٦.

[3] المرجع السّابق، م١، ص٥٧٥.

[4] المرجع السّابق، م١، ص٥٧٥.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وجهاً محددًا في تفسيره للدلالة على أن القراءات الأخرى هي عكس القراءة التي ذكرها كقراءة ابن كثير من رفع آدم ونصب كلمات.

- **وجوه القراءات المتفقة والمختلفة:**

وذكر الإمام ابن عادل وجوهًا من القراءات المتفقة عليها، والمختلفة فيها حيث ذكر المؤلف أشكالاً من القراءات مع ذكر القراء لهذه القراءة، وسرد أسماءهم، واستدل على تفسيره بفاتحة الكتاب في لفظ (مالك)، والتي يمكن تقسيمهما إلى ما يلي، وهي:

أولاً: قراءة نصب الكاف: "قرأ الأعمش ومحمّد بن السميع وأبو عبد الملك قاضي الجند: مالكَ بنصب الكاف على النداء، وروي أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم في بعض غزواته: يا مالكَ يوم الدين، وقرئ بنصب الكاف من غير ألف النّداء أيضًا، وهي قراءة عطية بن قيس[١].

ثانياً: قراءة رفع الكاف: "روى عن العقيلي بالألف ورفع الكاف، على معنى هو مالك وقرأ حَيوَة شُريح بن يزيد برفع الكاف من غير ألف"[٢].

ثالثاً: قراءة على وزن الفعل: "قرأ أبي بن كعب (مَلَكَ يومَ الدين) على الفعل وهو اختيار أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه"[٣].

رابعاً: القراءة بالإمالة: "قرأ يحي بن يعمر "مالك" بالإمالة للاضجاع البليغ، وقرأ أيوب السَختياني بين الإمالة والتفخيم ورواها قتيبة عن الكسائي"[٤].

خامساً: قرئ بسكون اللام وقراءة بإشباع الكاف: "قرأ (ملكي) ولم يذكر المؤلف أسماء القراء الذين قرؤوا بسكون اللام[٥]، وأما القراءة بالإشباع فنسبها الإمام نافع.

---

[١] المرجع السّابق، م١، ص١٨٦.

[٢] المرجع السّابق، م١، ص١٨٧.

[٣] المرجع السّابق، م١، ص١٨٧.

[٤] المرجع السّابق، م١، ص١٨٧.

[٥] قرأ بها أبو هريرة وعاصم الجحدري ورواها الجعفي وعبد الوارث عن أبي عمرو، وهي لغة بكر بن وائل. أنظر البحر المحيط. م١، ص١٣٣-١٣٤.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

- **عرض التّرجيح من العلماء:**

بالنسبة إلى قراءة (مالك) فذكر المؤلف بعض الترجيحات من العلماء، وذلك كما يلي: "ويحي بن يَعمُر فمما رجّحت به قراءة (مالك) أنها أمدح، لعموم إضافته، إذ يقال (مالك الجن، والإنس والطير) ولا يقال (ملك الطير) وأنشدوا على ذلك، سبحان من عنت الوجوه لوجهه* ملك الملوك ومالك العفو.."[1] واستدلّ أيضًا بالقاعدة (الزيادة في البناء تدلّ على الزّيادة في المعنى) وقد رجّح قبل هذا الإمام الطّبري لهذه القاعدة سابقاً[2]، ثم شرع يذكر الأدلة من فريق يؤيد قراءة (ملك) بعدم إثبات الألف فذكر: ومما رجحت به قراءة (مَلِك) ما حَكَاه الفارسي[3] عن ابن السّراج[4] وعن بعضهم أنه وصف نفسه بأنه مالك كل شيء، بقوله: (رب العالمين) فلا فائدة في قراءة من قرأ (مالك) لأنها تكرار[5].

لو تأملنا بدقة الأقوال المسترجحة لدى المؤلف، لوجدنا أنه قام بالتوازن بين الأقوال التي تأتي من المعارضين والمؤيدين، وبرزت طريقته في توازن الأقوال بتخلل الرأي المتوسّط بينهما، ولا يميل إلى فريق دون آخر، وذلك كقوله: "وقال قوم: معناهما واحد، مثل: فرهين وفارهين، وحذرين وحاذرين. ويقال المَلِك والمالك: هو القادر على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود، ولا يقدر عليه أحد غير الله، وجمع مَلِك: ملائك ومُلاك، وجمع ملك: أملاك ومُلُوك."[6]

---

[1] أبو حفص، م١، ص١٨٧.

[2] أنظر الفصل الثّاني لهذه الدّراسة، منهج الإمام الطّبري.

[3] الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي: أحد الأئمة في علم العربيّة. ولد في (من أعمال فارس) ودخل بغداد سنة ٣٠٧هـ، وتجوّل في كثير من البلدان، وقد حلّ سنة ٣٤٤هـ فأقام مدة عضد الدولة، وعاد إلى فارس، فصحب عضد الدولة ابن بويه، وتقدّم عنده، فعلمه النحو، وصنّف له كتاب الإيضاح في قواعد العربيّة. ولد سنة ٢٨٨هـ وتوفي سنة ٣٧٧هـ. وفيات الأعيان. م١، ص١٣١.

[4] محمّد بن السري بن سهل، أبو بكر، أحد أئمة الأدب والعربيّة، من أهل بغداد، ويقال: ما زال النحو مجنونا حتى عقله ابن السراج بأصوله، كان عارفاً بالموسيقي من كتبه الأصول، الشعر والشعراء، الخط والهجاء، العروض وغيرها، توفي شابا في ٣١٦هـ. طبقات النحويين واللغويين، ص١٢٢.

[5] أبو حفص، م١، ص١٨٨.

[6] المرجع السّابق، م١، ص١٨٨.

- **موقفه من الترجيحات:**

بالنسبة إلى هذه القضية،كان المؤلف قد حذر غاية الحذر من الخوض في نقد الروايات، والقراءات للقرآن تواضعاً منه وخوفاً من أن يَذْكر شيءٌ يخالف نفس الأمر وإن كان أهلاً لذلك، إذاً، نقل الناقد من العلماء فجمع في تفسيره ولم يشاركهم في الترجيح، وجعل المؤلف يتخذ موقفاً وسطاً بينهما بنقل النقد ونصب الأدلة لكل فريق كما سيوضّح الباحث هذه المسألة.

الخلاصة:

تفسير الإمام ابن عادل أدقّ لغةً وقراءة، وقد نهج الإمام على منهج ذاتي فضلاً عن بقية التّفاسير، ويُدْرِك ذلك من بداية تفسيره حتى آخره، وإذاا أجرينا عملية المقارنة بين التّفاسير السّابقة مع تفسير ابن عادل، وجدنا أن هذا الإمام كان يماثل الإمام الطّبري في المنهج غير أن الإمام ابن عادل أوسع منه نحواً في النّحو والقراءات كما بيّن الباحث سابقًا.

المبحث الخامس: تطبيق التكامل المنهجي في دراسة التّفسير

يُعْنى هذا المبحث بمقابلة بعض المهتمين بالتفسير وذلك لتعيين التّكامل المنهجي بينه وبين القراءات الموجودة بالمعاهد القرآنية بالأزهر الشريف، ودار القرآن، والمعاهد التّابعة لها، وكان أساس اختيارها مستنداً إلى التخصص الميداني في التربية وقد دخل الباحث أنماط الدّراسة التّفسيرية في (شُبْرا) نظراً للفوائد العلمية الجمة التي قدّمتها معاهد القراءات عامة بالأزهر الشريف، ومعهد شبرا خاصة في تخريج القرّاء الأكفاء في مجال القراءات عامة وماليزيا خاصة.

المطلب الأول: طرق تدريس التّفسير في دار القرآن والمعاهد التّابعة لها

إنّ طرق التّدريس لمادة التّفسير وما تحويه من التّكامل المنهجي بين التّفسير والقراءات في دار القرآن، والمعاهد التّابعة لها تعتمد بالدرجة الأولى على المستوى العلمي والثقافي للمعلم حسب كليته التي تخرّج فيها، وتخصصه الأصلي دون اعتبار لجوهر المحتوى لكتب التّفاسير المقررة على الطّلاب، وما بها من تكامل منهجي بين التّفسير والقراءات، وأصبحت عملية التعلّم مرهونةً

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بالتخصص العلمي للمعلم دون اعتبار للمنهج التّكاملي الذي يجب أن يلتزم به كل معلّم للتّفسير في دار القرآن والمعاهد التّابعة لها، وشرع الباحث في مقابلات شخصية مع المهتمّين بتدريس هذه المادة، ويقول الأستاذ زهدي بن إسماعيل[1] الذي درس هذه المادة في دار القرآن: "دراسة التفسير في دار القرآن لا تلزم المعلّم على التزام منهج تعليمي محدد، وكأن الغرض من دراسة التّفسير كتفسير الجلالين معرفة المفردات اللّغويّة بجانب التّفسير بشكل عام، وكذلك التّفسير المنير لوهبة الزحيلي وهو أوسع وأدقّ من الجلالين شرحاً ودراسةً، وذلك بذكر وجوه القراءات بدون تعمّق فيها، غير أن المعلّم ذا الخبرة في القراءات يوسّعها ويتكلم عنها أكثر ممن لا خبرة له فيها"[2].

وإذا تأمّلنا هذه المقابلة يتضح لنا عدم الاتحاد في عملية التّدريس بين محتوى كتب التّفاسير وبين طريقة تدريس المعلّم في البيئة التّعليمية سواء في دار القرآن، أو المعاهد التّابعة لها، ومرجع ذلك عدم وجود توجيه علمي أو إشراف فني لمادة التّفسير وما تحتويه من التّكامل المنهجي، وبالإضافة إلى ذلك عدم متابعة نتائج الطّلاب والتحليل العلمي لهذه النتائج، ووضع أهداف مستقبلية لطرق تدريس التفسير على أساس التّكامل المنهجي بين التّفسير والقراءات، وقد اقترح الأستاذ زهدي في ذلك بقوله: "هذا [illegible] جديد في دراسة التّفسير، وهذه الفكرة تساعد الطلبة في فهم القراءات، ولكن تحتاج إلى تغيير الموضوع في التّفسير إلى التّفسير بالقراءات، وأن تطبيق هذا النموذج [illegible] كتب التّفاسير كالطّبري، والقرطبي، وتفسير ابن عادل الحنبلي وغيرهم فليُرْجَع إليها إنْ [illegible]".

وإذا ما تتبعنا دراسة التّفسير في المعاهد التّابعة لدار القرآن يتضح الاختلاف البسيط بينهما حسب تخصص المدرس، ففي معهد التحفيظ بولاية جوهور بماليزيا مثلاً، يدرس هذه المادة الأستاذ عبد الحليم بني[4] منذ سنوات، ويتبين الفرق بين كتاب الجلالين والمنير: "هناك فجوات كبيرة بينهما، والجلالين أكثر اهتماماً بالمفردات بينما يهتمّ المنير بالتفسير الاجمالي،

---

[1] هو أستاذ زهدي بن إسماعيل، تخرّج من الأزهر كلية اللّغة والأدب.

[2] مقابلة رسمية في دار القرآن، مساء يوم الجمعة ٩ مارس ٢٠١٢م.

[3] المرجع السّابق.

[4] هو عبد الحليم بني، أصله من ولاية جوهور، تم حفظ القرآن الكريم في معهد تحفيظ القرآن والحديث في سلنجور ثم التحق بمعهد القراءات بشبرا القاهرة، تعلّم القراءات من مرحلة التجويد حتى التخصص لمدة سبع سنوات.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ويتناول كل ما يتعلق بالتّفسير، غير أن هناك معادلة بينهما من ناحية القراءات، وأن الجلالين والمنير ذكرا وجوه القراءات بغير تعيين القراء، ويعنى أنهما ذكرا وجوها لها بدون أن يطيلا الكلام فيها"[1].

وانطلاقاً من هذه المقابلة يبدو لنا أن التّفسير يحتاج إلى إصلاح من جديد من تغيير شكله إلى منهج التّكامل بين التّفسير والقراءات حتى لا يصعب على الطلبة إدراكه، وهذا الشّكل سوف يعد من طرق التّدريس الحديثة والمقترحة، ولكن هناك بعض الملاحظات قبل أن يدون التّفسير بشكل التّكامل بين التّفسير والقراءات ومنها: "هذا المنهج التربوي المقترح يجب إنجازه بعد مناقشته في ندوات المعلمين، والمعلمات، والمسؤولين الإدارتين، لتحقيق الوحدة التي نصبوا إليها وهي التّكامل المنهجي بين التّفسير والقراءات، وينبغي أن يتضمن المقرر سورة البقرة في الفصل الدراسي الثالث"[2].

وبإجراء مقارنة بين رأي معلمي دار القرآن، ومعهد تحفيظ القرآن بنجري سمبيلن، نجد أن الفكرة في إيجاد وحدة المنهج بين القراءات والتّفسير فكرة مبقولة بينهما، وأن هذه الفكرة تساعد الطلبة، والمعاهد التحفيظية للتطبيق العملي والعلمي بين المادتين.

المطلب الثّاني: طرق تدريس التّفسير بمقرر القراءات العشر بشبرا الخيمة الأزهريّة بمصر

ترأّس هذا المعهد الشّيخ محمّد حسان[3] محمد منذ إنشائه حتى عام ٢٠١١م، وقام بتدبير شؤونه، وإدارة تعليمه وخصوصاً التّفسير القرآني، وقد قام الباحث بمقابلته يوم الخميس الموافق

---

[1] مقابلة رسمية مع أستاذ عبد الحليم بني، مدرس التّفسير وعلومه في معهد تحفيظ القرآن بنجري سمبيلن، صباح يوم الاثنين ١٩ مارس، ٢٠١٢م.

[2] المرجع السّابق.

[3] هو الشّيخ محمّد حسان محمّد أحمد، ولد في شبرا الخيمة القاهرة في ٢٨ ابريل ١٩٥٩م، حفظ القرآن الكريم في الكتاب (حلقة التحفيظ على يد الشّيخ في بيته) وقد أتم حفظه وكان عمره عشر سنين، والتحق بالأزهر الشريف وكان أحد عشر سنة، وحصل على الشهادة الاعدادية الأزهريّة من معهد شبرا الخيمة الديني الاعدادي عام ١٩٧٣م، ثم الثانوية الأزهريّة من معهد القاهرة الثانوي عام ١٩٧٨م، ثم جامعة الأزهر الشريف كلية التربية قسم اللّغة العربيّة وتخرّج عام ١٩٨٢م وحصل على ليسانس بتقدير جيد جداً.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

٨ مارس سنة ٢٠١٢م للتعرف على التّدريس النّظري والتطبيقي. وهو يدرس فيه كتاب تفسير الجلالين في معاهد القراءات في المرحلة العالية والتخصص، وطريقة التّدريس كما يلي:

- **تحديد الهدف العام من تدريس المادة كالآتي:**

١. بيان المعاني اللّغويّة للآية وربطها ببقية العلوم الشّرعية من حيث الفقه والسيرة النّبويّة والتوحيد مع بيان إعراب الآيات والصور البلاغية فيها

٢. تربية الطالب الطالبة على قيم القرآن الكريم بالنسبة للمسلم في حياته الخاصة والعامة على اعتبار أن القرآن صالحة للإنسان في كل زمان ومكان.

- **الهدف الخاص:**

١. التأكد من صحة نطق الآيات القرآنيّة ترتيلاً.

٢. بيان المعاني اللّغويّة لكل كلمة وجملة وربطها بمعاني الآيات وعلاقتها بالمعنى العام للسورة.

٣. ربط السورة بالسورة قبلها والتي بعدها

وانطلاقاً من هذه الأهداف الخاصة والعامة فقد حدّد المعهد الطّرق الدراسية الموافقة للأهداف، وذلك من ترتيب الخطوات المنظّمة ليكون مرتبطاً بالأهداف، وذلك كما يلي:

- **طريقة التّدريس:**

١. يقرأ الطالب الآيات قراءة صحيحة.

٢. يبين الطالب معاني بعض الكلمات الجديدة فيه.

٣. يبين معاني المفردات في الآية.

٤. يبين المعنى العام للآية.

٥. يربط بين معنى الآيات التي قبلها والتي بعدها.

٦. يبين علاقة الآية بالمعنى العام للسورة وموضوعها.

---

[1] مقابلة رسمية مع الشّيخ حسان محمّد أحمد، دار القرآن، يوم الخميس، ٨ مارس ٢٠١٢م، ٤ مساء.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

٧. بيان أوجه الإعراب المختلفة في بعض الآيات وبيان وجه الإعراب الكامل، والمعنى المقصود منه.

٨. بيان الدلالات البلاغية للألفاظ، وضبط الكلمات، وما يترتب على ذلك من تفسير المعنى.

٩. تلخيص ما فهمه الطالب من المحاضرة.

١٠. كتابة ما فهمه الطالب بأسلوبه.

١١. تقييم ما قاله الطالب شفاهة أو كتابة[١].

وقال الشّيخ محمّد حسان محمّد أحمد: "فكر علمي متطور ومناسب للتطور العلمي، والعلوم الشّرعية، والتّطرية وله الجذور العلمية كما كان في الطّبري والقرطبي وسيؤدي هذا الموضوع إلى نهضة فكرية، وعلمية في علم التفسير تحقيقاً لقول النّبي صلّى الله عليه وسلّم (الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة)، التكامل المنهجي شيء جديد في البحث العلمي لمادة التّفسير"[٢].

الخلاصة

وبالجملة، فإنّ دراسة التّفسير على الشكل التّكاملي الموجودة، ومستخدمة عند العلماء، وقد انتشر في كثير من كتب التّفسير ولكن بغير اجتماع في الباب أو الموضوع المعين، كالكتاب المدوّن تحت موضوع "تفسير القرءان الكريم بالقراءات". وقد عرض الباحث بعضاً من الأمثلة الموجودة في المبحث الثّاني فيما يتعلق بالتكامل المنهجي في كتب التّفسير كالطّبري والقرطبي وغير ذلك.

وفي الحقيقة، إن استقلال القراءات عن التفسير في الكتاب شيء جديد، وإنّ إفراد العلماء كتابًا للتّفسير عن الأحاديث، في كتب الأحاديث كان شيء جديد، وهذا ما لم يجر عليه العلماء قديماً ولم يقوموا بإفراد التّفسير من القراءات كفنّ مدوّن، كما أفردَتْ اللّغة من التّفسير. وإنْ شاء الله، عملية تفريز القراءات مع التّفسير سوف تفتح باباً جديداً في الدورة العلمية.

---

[١] مقابلة رسمية مع الشّيخ حسان محمّد أحمد، دار القرآن، يوم الخميس، ٨ مارس ٢٠١٢م، ٤ مساء.

[٢] مقابلة رسمية مع الشّيخ حسان محمّد أحمد، دار القرآن، يوم الخميس، ٨ مارس ٢٠١٢م، ٤ مساء

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية